بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، الذي هيأ الجنة لعباده الصالحين، وأدخل في رحمته من عباده الفالحين، والصلاة والسلام على خير خلق الله أجمعين، والقائل: «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين»، وعلى آله الطاهرين، وأصحابه الطيبين، وجميع التابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإن الله عز وجل يقول: ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾ فاتباع الرسول عليه الصلاة والسلام فلاح في الدنيا والآخرة، والائتمار بما أمر به والانتهاء عما نهى عنه يجعلك من الفالحين فسنته ﷺ دليلاً للفالحين الذين يطبقونها ويحيونها، فلذلك كان جهدنا أن نخرج لك كتاب: **دليل الفالحين** ليكون لك دليلاً للوصول إلى مرضاة رب العالمين فتصبح حقاً وبإذن الله تعالى من الفالحين الصالحين، الذين يتولاهم الله عز وجل فقال: ﴿وهو يتولى الصالحين﴾، ﴿الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم﴾ أولئك هم الصالحون حقاً، وأولئك ﴿أعد الله لهم مغفرة وأجراً عظيماً﴾ وهيأ لكل واحد من الصالحين روضة من رياض الجنة، فكان كتاب: **دليل الفالحين شرحاً لرياض الصالحين**، جعلنا الله وإياكم من الصالحين في الدنيا، الفالحين في الآخرة وثبتنا وإياكم بالقول الحسن في الدنيا والآخرة ﴿يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم﴾.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

دار المعرفة

ترجمة الإمام الصديقي رحمه الله تعالى

إسمه:

هو الشيخ العلامة محمد علي بن محمد علان بن إبراهيم بن محمد بن علان البكري الصديقي الشافعي[١]. واحد الدهر في الفضائل أحد العلماء المفسرين، والأئمة المحدثين، عالِم الربع المعمور.

مولده:

ولد بمكة لعشر بقين من صفر سنة ٩٩٦ ست وتسعين وتسعمائة.

نشأته وطلبه العلم:

نشأ ببلده وحفظ القرآن بالقراءات، وحفظ عدة متون في كثير من الفنون وتفقه بجماعة، وتصدر للإقراء وله من السن ثمانية عشر عاماً، وباشر الإفتاء وله من السن أربع وعشرون سنة، وجمع بين الرواية والدراية والعلم، وكان إماماً ثقة من أفراد أهل زمانه معرفة وحفظاً وإتقاناً وضبطاً لحديث رسول الله ﷺ وعلماً بعلله وصحيحه وأسانيده، وكان شبيهاً بالجلال السيوطي في معرفة الحديث وضبطه، وكثرة مؤلفاته، ورسائله. قال الشيخ عبد الرحمٰن الخياري: إنه سيوطي زمانه، وكان حسن الخط كثير الضبط. وأخذ عنه العلم جماعة كثيرون يطول شرحهم. وقرأ صحيح البخاري في جوف الكعبة أيام بنائها لما انهدمت في سنة ١٠٣٩ تسع وثلاثين وألف من جهة الحطيم بسبب سيل عظيم.

بعض سيره:

حكى تلميذه الفاضل محمد النبلاوي الدمياطي نقلاً عنه أنه قال: رؤي النبي ﷺ في المنام وهو يعطي الناس عطايا فقيل له: يا رسول الله وابن علان؟ فأخذ يحثو له بيده الشريفة حثيات.

---

(١) انظر ترجمته في: إيضاح المكنون: ١/٥٧٨، والأعلام: ٦/٢٩٣، وخلاصة الأثر: ٤/١٨٤.

وقال المترجم له أيضاً: أخبرني بعض الصالحين عن بعضهم في عام ١٠٣٧ سبع وثلاثين وألف أنه رأى النبي ﷺ في المنام ليلة السادس والعشرين من رجب على ناقة عند الحجون سائراً إلى مكة فقبل يده الكريمة الشريفة وقال يا سيد المرسلين يا رسول الله: الناس قصدوا حضرتك الشريفة للزيارة فلماذا وصلت هنا قال لختم صحيح البخاري أو لختم ابن علان ــ شك الرائي ــ ثم يوم الختم الثامن والعشرين من رجب ذلك العام حضر بعض الصالحين وحصلت له واقعة، رأى خيمة خضراء بأعلى ما بين السماء والأرض فسأل فقيل هذا النبي ﷺ حضر لختم البخاري.

مؤلفاته:

ألف كتباً كثيرة في عدة فنون تزيد على الستين وتآليفه كلها غرر فمنها:

١ ــ تفسير سماه ضياء السبيل إلى معالم التنزيل.

٢ ــ رفع الالتباس لبيان اشتراك معاني الفاتحة والناس.

٣ ــ رسالة في ختم البخاري سماها الوجه الصبيح في ختم الصحيح.

٤ ــ فتح الكريم القادر ببيان ما يتعلق بعاشوراء من الفضائل والأعمال والمآثر.

٥ ــ القول الحق والنقل الصريح بجواز أن يدرس بجوف الكعبة الحديث الصحيح.

٦، ٧ ــ مؤلَّفان في التنباك والدخان أحدهما تحفة ذوي الإدراك في المنع من التنباك والآخر إعلام الإخوان بتحريم الدخان.

٨ ــ العلم المفرد في فضل الحجر الأسود.

٩ ــ شمس الآفاق فيما للمصطفى عليه الصلاة والسلام من كرم الأخلاق.

١٠ ــ رسالة في تعريف واجب الاستثناء وجائزه سماها فتح المالك في تجويز طريق ابن مالك.

١١ ــ نظم أنموذج اللبيب للسيوطي وشرحه وهو شرح عظيم.

١٢ ــ حسن العناية بالكفاية وهو شرح على تصريف الشيخ محمد البركلي.

١٣ ــ شرح الأذكار للنووي.

١٤ ــ شرح منسك النووي الكبير سماه فتح الفتاح في شرح الإيضاح.

١٥ ــ شرح منظومة السيوطي في موافقة عمر رضي الله عنه للقرآن.

١٦ ــ شرح التعرف في الأصلين والتصوف لابن حجر سماه التلطف.

١٧ ــ شرح رياض الصالحين للنووي سماه دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين.

وفاته:

وقد توفي نهار الثلاثاء لتسع بقين من ذي الحجة سنة ١٠٥٧ هـ ودفن بالمصلاة بالقرب من قبر شيخ الإسلام ابن حجر المكي رحمهما الله تعالى.

ترجمة الإمام النووي رحمه الله تعالى[١]

اسمه ونسبه:

الإمام الحافظ الأوحد القدوة شيخ الإسلام علم الأولياء محيي الدين أبو زكرياء يحيى بن شرف بن مري بن حسن بن حسين بن حزام بن محمد بن جمعة الحزامي الحوراني الشافعي صاحب التصانيف النافعة.

كنيته:

أبو زكرياء.

لقبه:

محيي الدين.

نسبته:

الحِزامي: بكسر الحاء المهملة والزاي والميم بعد الألف، هذه النسبة إلى الجد الأعلى، واشتهر بها أبو إسحاق إبراهيم بن المنذر بن عبد الله المنذر بن المغيرة بن عبد الله بن خالد بن حزام بن خويلد بن أسد الحِزامي القرشي. وذكر أبو كامل البصيري في

---

(١) انظر ترجمته في:

ـ تذكرة الحفاظ: ترجمة ١٤٧، العبر في خبر من غبر: ٣/٣٣٤، ذيل مرآة الزمان: ٣/٢٨٣، طبقات الشافعية الكبرى: ٨/٣٩٥، الدارس في أخبار المدارس: ١/٢٤، البداية والنهاية: ١٣/٢٧٨، شذرات الذهب: ٥/٣٥٤، مرآة الجنان: ٤/١٨٢، طبقات ابن هداية الله: ص ٢٢٥، طبقات الأسنوي: ٢/٢٨٦، تاريخ ابن الفرات: ٧/١٠٨، تاريخ ابن الوردي: ٢/٢٢٦، الأعلام: ٨/١٤٩، طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة: ٢/١٥٣، الدليل الشافي: ٢/٧٧٥، والفتح المبين: ٢/٨١، والعلماء العزب: ص ٩٢، والمنهاج السوي ترجمة مفردة له للسيوطي رحمه الله تعالى وتحفة الطالبين لابن العطار رحمه الله تعالى.

كتاب المضافات أن إبراهيم بن المنذر الحزامي من ولد حكيم بن حزام رضي الله عنه لا من ولد خالد[١]. وقال الشيخ محيي الدين: وزعم بعض أجدادي أن نسبه إلى حزام والد حكيم رضي الله عنه[٢].

والصحيح ما ذهب إليه أبو كامل البصيري ووافق قول ابن حزم في جمهرة أنساب العرب[٣].

الحوراني: بفتح الحاء المهملة وسكون الواو وفتح الراء، هذه النسبة إلى حوزان وهي ناحية كبيرة واسعة، كثيرة الخير وتشتمل على قرى كثيرة بنواحي دمشق[٤] من جهة القبلة، وما زالت منازل العرب وذكرها في أشعارهم كثير وقصتها بصرى، قال امرؤ القيس:

ولما بدت حوران والآل دونها نظرت فلم تنظر بعينك منظر

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قد ولى علقمة بن علاثة حوران[٥].

مولده:

ولد في العشر الأوسط من المحرم سنة إحدى وثلاثين وستمائة بنوى[٦].

نشأته:

فقد ذكر أبوه أن الشيخ كان نائماً إلى جنبه وقد بلغ من العمر سبع سنين ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان فانتبه نحو نصف الليل وقال: يا أبت ما هذا الضوء ملأ الدار فاستيقظ الأهل جميعاً قال: لم نر كلنا شيئاً قال والده: لقد عرفت أنها ليلة القدر.

وقال شيخه في الطريقة الشيخ ياسين بن يوسف الزركشي: رأيت الشيخ محيي الدين وهو ابن عشر سنين بنوى والصبيان يكرهونه على اللعب معهم وهو يهرب منهم ويبكي لإكراههم، ويقرأ القرآن في تلك الحال فوقع في قلبي حبّه وجعله أبوه في دكان فجعل لا يشتغل بالبيع والشراء عن القرآن قال: فأتيت الذي يقرئه القرآن فوصيته به وقلت: هذا

---

(١) اللباب في تهذيب الأنساب ١/٣٦٢، والإكمال ٣/٣٤، والأنساب ٤/١٢٩.
(٢) فوات الوفيات ٤/٢٦٥.
(٣) جمهرة أنساب العرب ص ١٢١.
(٤) الأنساب ٤/٢٦٨، واللباب ١/٤٠٠.
(٥) معجم البلدان ٢/٣١٧.
(٦) نَوَا: بلفظ جمع نواة التمر وغيره: بليدة من أعمال حوران. معجم البلدان ٥/٣٠٦.

الصبي يرجى أن يكون أعلم أهل زمانه وأزهدهم وينتفع الناس بـه فقال لي منجم: أنت فقلت: لا، وإنما أنطقني الله بذلك، فذكر ذلك لوالده فحرص عليه إلى أن ختم القرآن وقد ناهز الاحتلام[١].

طلبه العلم:

ولما كان له تسع عشرة سنة قدم به أبوه إلى دمشق فسكن المدرسة الرواحية وبقي نحو سنتين لا يضع جنبه إلى الأرض، وكان قوته جراية المدرسة. وحفظ (التنبيه) في نحو أربعة أشهر ونصف، وبقي قريب الشهرين لما قرأ: يجب الغسل في إيلاج الحشفة في الفرج، وهو يعتقد أنه قرقرة البطن ويستحم بالماء البارد كلما قرقر بطنه، وحفظ ربع المهذب في باقي السنة وصحح وشرح على شيخه كمال الدين إسحاق بن أحمد المغربي، ثم حج هو ووالده، وكانت وقفة جمعة، وأقاموا بالمدينة نحواً من شهر ونصف ولما رحل من نوى كانت الحمى أخذته فلم تفارقه إلى يوم عرفة، وكان يقرأ فيما بعد على المشايخ شرحاً وتصحيحاً كل يوم اثني عشر درساً، درسين في الوسيط ودرساً في المهذب ودرساً في الجمع بين الصحيحين ودرساً في صحيح مسلم ودرساً في اللمع لابن جني ودرساً في إصلاح المنطق ودرساً في التصريف ودرساً في أصول الفقه، ودرساً في أسماء الرجال ودرساً في أصول الدين. قال: وكنت أعلق جميع ما يتعلق بها من شرح مشكل ووضوح عبارة وضبط لغة وبارك الله تعالى في وقتي، وخطر لي أن أشتغل في الطب واشتريت كتاب القانون فأظلم قلبي وبقيت أياماً لا أقدر على الاشتغال فأفقت على نفسي وبعت القانون فأنار قلبي[٢].

وحاز قصب السبق في العلم والعمل ثم أخذ في التصنيف في حدود الستين وست مئة إلى أن مات العبر ٣/ ٣٣٤.

ورعه وزهده رحمه الله تعالى:

كان شديد الزهد، قدوة في الورع، عديم المثل في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قانعاً باليسير، راضياً عن الله والله عنه راضٍ، مقتصداً إلى الغاية في ملبسه ومطعمه وإنائه، تعلوه سكينة وهيبة[٣]، تاركاً لجميع ملاذ الدنيا[٤]، وسيداً وحصوراً، ولياً على

(١) طبقات الشافعي للسبكي ٥/ ١٦٥.
(٢) فوات الوفيات ٤/ ٢٦٥ ـ ٢٦٦، وتذكرة الحفاظ ٤/ ١٤٧٠، وشذرات الذهب ٥/ ٣٣٥.
(٣) العبر ٣/ ٣٣٤.
(٤) طبقات الحفاظ ص ٥١٠.

النفس حصوراً، لم يُبال بخراب الدنيا إذ صير دينه ربعاً معموراً، له الزهد والقناعة ومتابعة السالفين من أهل السنة والجماعة والمصابرة على أنواع الخير لا يصرف ساعة في غير طاعة[١] ولازم الاشتغال والتصنيف ونشر العلم والعبادة والأوراد والصيام والذكر والصبر على العيش الخشن في المأكل والملبس ملازمة كلية لا مزيد عليها، ملبسه ثوب خام وعمامته سبختانية صغيرة[٢] وكان لا يأكل في اليوم والليلة إلا أكلة واحدة بعد العشاء الآخرة[٣] ولا يجمع بين إدامين[٤] ولا يشرب إلا شربة واحدة عند السحر[٥]، وكان غالب قوته مما يحمله إليه أبوه من نوى فيقتنع بالقليل مما يبعث به إليه[٦].

قال الرشيد ابن المعلم: عذلت الشيخ محيي الدين في عدم دخوله الحمام وتضيق العيش في مأكله وملبسه وأحواله، وخوفته من مرض يعطله عن الاشتغال فقال: إن فلاناً صام وعبد الله حتى اخضر جلده وكان يمنع من أكل الفواكه والخيار، ويقول: أخاف أن يرطب جسمي ويجلب النوم.

قال ابن العطار: كلمته في الفاكهة، فقال: دمشق كثيرة الأوقاف وأملاك من تحت الحجر، والتصرف لهم لا يجوز إلا على وجه الغبطة لهم، ثم المعاملة فيها على وجه المساقاة، وفيها خلاف فكيف تطيب نفسي بأكل ذلك[٧].

قال الذهبي: مع ما هو عليه من المجاهدة بنفسه والعمل بدقائق الورع والمراقبة وتصفية النفس من الشوائب ومحقها من أغراضها كان حافظاً للحديث وفنونه ورجاله وصحيحه وعليله في معرفة المذهب[٨].

وقال علاء الدين ابن العطار: . . . وأخباره في الزهد والورع والكرامات مشهورة.

---

(١) طبقات الشافعية ٥/١٦٦.
(٢) تذكرة الحفاظ ٤/١٤٧١.
(٣) شذرات الذهب ٥/٣٥٦.
(٤) البداية والنهاية ١٣/٢٧٩.
(٥) شذرات الذهب ٥/٣٥٦.
(٦) العبر ٣/٣٣٤.
(٧) تذكرة الحفاظ ٤/١٤٧٢.
(٨) تذكرة الحفاظ ٤/١٤٧٢.

شيوخه:

كان القرن الذي عاش فيه النووي رحمه الله تعالى قرناً حافلاً بشيوخٍ جلَّة في سائر أنواع المعارف والعلوم ولا سيما في فَنّي الحديث والفقه.

(أ) شيوخه في الحديث:

من أهم شيوخه في الحديث:

الشيخ الإمام القاضي الخطيب عماد الدين عبد الكريم ابن القاضي جمال الدين عبد الصمد بن محمد المعروف بابن الحرستاني، وشيخ الشيوخ شرف الدين عبد العزيز بن محمد بن عبد المحسن الأنصاري الأوسي الدمشقي الأصل، والحافظ الزَّين خالد بن يوسف بن سعد بن حسن بن مفرج أبو البقاء النابلسي، وابن برهان العدل الصدر رضي الدين أبو إسحاق إبراهيم بن أبي حفص عمر بن مضر بن فارس المُضري الواسطي السّفار والإمام الحافظ المتقن المحقق الضابط الزاهد الورع ضياء الدين أبو إسحاق إبراهيم بن عيسى المرادي الأندلسي، وزين الدين أبو العباس أحمد بن عبد الدائم بن نعمة بن أحمد بن محمد بن إبراهيم مسند الشام وفقيهها ومحدثها الحنبلي الناسخ، ومسند الشام ابن أبي اليسر تقي الدين أبو محمد إسماعيل بن إبراهيم بن أبي اليسر شاكر بن عبد الله التنوخي الكاتب المنشىء، والشيخ الإمام شمس الدين أبو الفرج عبد الرحمٰن بن محمد بن أحمد بن قدامة المقدسي ثم الصالحي الحنبلي.

(ب) شيوخه في الفقه:

من أهم شيوخه في الفقه:

الإمام العلاّمة الفقيه المفتي كمال الدين أبو إبراهيم إسحاق بن أحمد بن عثمان المغربي، والشيخ الإمام العلاّمة مفتي الشام كمال الدين أبو الفضائل سلاّر بن الحسن بن عمر بن سعيد الإربلي، والإمام فقيه الشام وشيخ الإسلام أبو محمد عبد الرحمٰن بن إبراهيم الفزاري الشافعي تاج الدين الملقب بالفركاح.

(ج) شيوخه في الأصول:

من أهم شيوخه في الأصول:

القاضي أبو الفتح كمال الدين عمر بن بندار بن عمر التفليسي.

(د) شيوخه في اللغة:

من أهم شيوخه في اللغة:

أبو العباس جمال الدين أحمد بن سالم المصري النحوي نزيل دمشق، والعلّامة حجة العرب جمال الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن مالك الطائي الجيَّاني.

تلاميذه:

أبرز تلاميذه: الحافظ الزاهد علاء الدين علي بن إبراهيم بن داود بن سليمان أبو الحسن بن العطار الشافعي، والإمام الحافظ محدث الشام جمال الدين أبو الحجاج يوسف بن الزكي عبد الرحمٰن بن يوسف المزي القُضاعي، ومحمد بن أبي بكر بن إبراهيم القاضي شمس الدين بن النقيب الشافعي الدمشقي، والقاضي سليمان بن هلال بن شبل بن فلاح بن حصيب الجعفري الحوراني الملقب بصدر الدين، وسالم بن عبد الرحمٰن بن عبد الله الشافعي أمين الدين بن أبي الدُّر. وهناك الكثير من التلاميذ الذين اشتهروا بالفضل والعلم منهم:

أبي العباس أحمد بن فرح الإشبيلي، وأحمد الضرير الواسطي أبي العباس الملقب بالخلّال، وشهاب الدين أبي العباس أحمد بن محمد بن سلمان بن حمايل الجعفري، وابن العباس أحمد بن إبراهيم بن مصعب وشهاب الدين أحمد بن محمد بن عباس بن جعوان، وإسماعيل بن المعلم الحنفي الرشيد، والنجم إسماعيل بن إبراهيم بن سالم، والشيخ الناسك جبريل الكردي، والقاضي جمال الدين سليمان بن عمر بن سالم الزرعي، وأبي الفرج عبد الرحمن بن محمد بن عبد الحميد بن عبد الهادي المقدسي، وعبد الرحيم بن محمد بن يوسف السهودي، والعلاء علي بن أيوب بن منصور المقدسي، وشهاب الدين أبي حفص عمر بن كثير، والبدر محمد بن إبراهيم بن جماعة، والشهاب محمد بن عبد الخالق بن عثمان بن مزهر الأنصاري، وأبي عبد الله محمد بن أبي الفتح الحنبلي، ومنصور بن نجم بن زيان الليثي، وهبة الله بن عبد الرحيم البارزي، ويوسف بن محمد بن عبد الله المصري الدمشقي وغيرهم من التلاميذ الأجلاء.

مصنفاته:

قال الشيخ جمال الدين الأسنوي في أوائل المهمات: اعلَمْ أنّ الشيخ مُحيي الدين رحمَهُ الله، لما تأهّل للنظر والتحصيل، رأى المسارعة إلى الخيرات، أن جعل ما يحصّلُه

ويقف عليه تصنيفاً ينتفع به النّاظر فيه، فجعل تصنيفه تحصيلاً وتحصيله تصنيفاً، وهو غرضٌ صحيح وقصدٌ جميل، ولولا ذلك لم يتيسّر له من التصانيف ما تيسّر له.

وقال الأَذْرعيّ في أول التوسّط والفتح: بلغني أنّ الشيخ مُحيي الدين كان يكتب إلى أن يعيى فيضع القلم ليستريح، ويُنشد:

لئن كان هذا الدمعُ يجري صبابةً على غير سُعْدَى فهو دمعٌ مَضِيْعُ

فَمِن تصانيفه:

- الرّوضة؛ مختصر الشرح الكبير للرّافعي، ابتدأ في تأليفها يوم الخميس، الخامس والعشرين من رمضان سنة ست وستّين وستمائة، وختمها يوم الأحد خامس عشر شهر ربيع الأول سنة تسع وستين وهي عُمدة المذهب الآن.
- شرح صحيح مسلم سمّاه بالمنهاج، وهو هذا الكتاب الذي بين أيدينا وهو عظيم البركة.
- وشرح المهذّب سمّاه بالمجموع.
- ومنها: المنهاج مختصر المحرَّر، مجلّد لطيف، ودقائقه نحو ثلاث كراريس. ورأيت بخطه أنه فرغه تاسع عشر شهر رمضان سنة تسع وستين وهو الآن عُمدة الطالبين والمدرّسين والمفتين.
- ومنها: تهذيب الأسماء واللّغات.
- ورياض الصالحين.
- والأذكار.
- ونكت التنبيه وهي من أوائل ما صنّف. ولا ينبغي الاعتماد على ما فيها من التصحيحات المخالفة لكتبه المشهورة، ولعلّه جمعها من كلام شيوخه.
- والإيضاح في مناسك الحج.
- والتبيان في آداب حملة القرآن.
- ومختصر وشرح التنبيه مطوّل سمّاه: تحفة الطالب النبيه؛ وصل فيه إلى أثناء الصلاة.

ـ وشرح الوسيط المسمّى بالتنقيح. وصل فيه إلى شروط الصلاة. وهو كتاب جليل من أواخر ما صنّف، جعله مشتملاً على أنواع متعلقة به ضرورية كافية لمن يريد كثرة المسائل المأخوذة، كتصحيح مسائله، وتوضيح أدلّته وذِكر أغاليطه، وحَلّ إشكالاته، وتخريج أحاديثه، وأحوال الفقهاء المذكورين فيه.

ـ ونكت على الوسيط في نحو مجلدين.

ـ والتحقيق: وصل فيه إلى صلاة المسافر.

ـ ومهمّات الأحكام. وهو قريب من التحقيق في كَثرة الأحكام. وقد وصل فيه إلى أثناء طهارة الثوب والبدن.

ـ وشرح البخاري: كتب منه مجلّدة.

ـ والعمدة في تصحيح التنبيه.

ـ والتحرير في لغات التنبيه.

ـ ونكت المهذب.

ـ ومختصر التذنيب للرافعي سمّاه بالمنتخب.

ـ ودقائق الروضة: كتب منها إلى أثناء الأذان.

ـ وطبقات الشافعية.

ـ ومختصر الترمذي.

ـ وقسمة القناعة ومختصره. وهذا الكتاب من أواخر ما صنف.

ـ وجزء في الاستسقاء وجزء في القيام لأهل الفضل.

ـ ومختصر تأليف الدارمي في المتحيرة.

ـ ومختصر تصنيف أبي شامة في البسملة.

ـ ومناقب الشافعي.

ـ والتقريب في علم الحديث، والإرشاد فيه.

ـ والخلاصة في الحديث.

ـ ومختصر مبهمات الخطيب.

ـ والإملاء على حديث إنّما الأعمال بالنيات، لم يتمّه.

ـ وشرح سنن أبي داود كتب منه يسيراً.

ـ وبستان العارفين، لم يتم.

ـ ورؤوس المسائل.

ـ والأصول والضوابط كتب منه أوراقاً قلائل.
ـ ومختصر التنبيه، كتب منه ورقة واحدة.
ـ والمسائل المنثورة، وهي المعروفة بالفتاوى، وصنّفها غير مرتبة، فرتّبها تلميذه ابن العطّار وزاد عليها أشياء سمعها منه.
ـ والأربعين، وشرح ألفاظها.

ويُنسب إليه تصنيفان ليسا له: النهاية في اختصار الغاية، والثاني: أغاليط على الوسيط، مشتملة على خمسين موضعاً، بعضها فقهية وبعضها حديثية.

قال ابن العطار: وله شرح ألفاظ ومسوّدات كثيرة. ولقد أمرني مرّة بجمع نحو ألف كرّاس بخطّه، وأمرني أن أقف على غسلها في الورّاقة، وحلّفني إن خالفت أمره في ذلك. فما أمْكنني إلاّ طاعته، وإلى الآن في قلبي منها حَسَرات.

نصحه للحكام:

قال ابن العطّار:

كَتَب ورقة إلى الملك الظّاهر، تتضمّن العدل في الرعيّة وإزالة المُكُوس. وكتب معه فيها جماعة ووضعها في ورقة كتبها إلى الأمير بَدْر الدين بيلبك الخَزِنْدَار، بإيصال ورقة العُلماء إلى السّلطان، وصُوْرتُها:

«بسم الله الرحمٰن الرحيم، من عبد الله يَحيى النّوويّ، سلام الله تعالى ورحمته وبركاته على المَوْلى المُحسِن، ملك الأمراء بدر الدين، أدام الله الكريم له الخيرات، وتولاّه بالحسنات، وبلّغه من أقصى الآخرة والأولى كُلّ آماله، وبارك له في جميع أحواله، آمين.

ويُنهي أهلُ العلوم الشريفة، أن أهل الشام في هذه السنة في ضيق عيش وضعف حال، بسبب قلّة الأمطار، وغلاء الأسعار، وقلّة الغلاّت والنبات، وهلاك المواشي وغير ذلك. وأنتم تعلمون أنّه تجب الشفقة على الراعي والرعية، ونصيحته في مصلحته ومصلحتهم، فإنّ الدين النّصيحة، وقد كتب خَدَمة الشّرع، النّاصحون للسلطان، المحبّون له، كتاباً يذكّره النظر في أحوال الرعيّة والرّفق بهم. وليس فيه ضَرَرٌ بل هو نصيحة مَحْضَة، وشفقة، وذكرى لأُولي الأَلْبَاب. والمسؤول من الأمير أيّده الله تعالى تقديمه إلى السلطان، أدام الله له الخيرات، ويتكلّم عنده من الإشارة بالرّفق بالرعيّة بما يجده مدَّخراً له عند الله تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضراً وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَها وَبَيْنَهُ أَمَداً بَعِيداً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ [سورة آل عمران، الآية: ٣٠]. وهذا الكتاب أرسله

العلماء أمانةً ونصيحة للسلطان، أعزّ اللّه أنصاره والمسلمين كلهم في الدنيا والآخرة، فيجب عليكم إيصاله للسلطان، أعزّ الله أنصاره، وأنتم مسؤولون عن هذه الأمانة، ولا عُذْر لكم في التأخّر عنها. ولا حُجّة لكم في التقصير فيها عند الله تعالى، وتُسألون عنها: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾ [سورة الشعراء، الآية: ٨٨]، ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ، وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ وَصَٰحِبَتِهِ وَبَنِيهِ، لِكُلِّ ٱمْرِىءٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [سورة عبس، الآيات: ٣٤ ـ ٣٧]، وأنتم بحمد الله تحبّون الخير وتحرصون عليه، وتسارعون إليه، وهذا من أهمّ الخيرات، وأفضل الطاعات، وقد أُهِّلْتُم له، وساقه الله إليكم، وهو فَضْلٌ من الله، ونحن خائفون أن يزداد الأمرُ شِدّةً إنْ لم يحصل النّظر في الرّفق بهم، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ [سورة الأعراف، الآية: ٢٠١]، وقال الله تعالى: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾ [سورة البقرة، الآية: ٢١٥].

والجماعة الكاتبون منتظرون ثمرة هذا، فإذا فعلتُموه، فأجركم عند الله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ [سورة النحل، الآية: ١٢٨] والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته».

وفاته رحمه الله تعالى:

قال ابن العطار: كان الشيخ لا يأخذ من أحد شيئاً، إلّا مِمّن تحقّق دينه ومعرفته، ولا له به عُلْقة من إقراء أو انتفاع به.

قال: وكنت جالساً بين يديه قبل انتقاله بشهرين، وإذا بفقيرٍ قد دخل عليه وقال:

«الشيخ فُلان من بلاد صَرْخَد يُسلِّم عليك وأَرسلَ معي هذا الإبريق لك». فقَبِلَه وأَمَرني بوضعهِ في بيت حوائجه، فتعجّبتُ منهُ لِقَبوله، فشعر بتعجّبي، وقال:

«أَرسلَ إليّ بعض الفقراء زِنْبيلاً، وهذا إبريق، فهذه آلة السَّفر».

قال ابن العطار: ثم بعد أيام يسيرة كنتُ عنده، فقال: «قد أُذِن لي في السَّفر».

فقلت: كيف أُذن لك؟

قال: «بينا أنا جالس ها هنا ـ يعني ببيته بالمدرسة الرَّواحيّة، وقُدّامه طاقة مشرفة عليها ـ مستقبل القِبلة، إذ مرّ عليّ شخص في الهواء من هنا ومرّ» كذا يُشير من غربيّ المدرسة إلى شرقيِّها ـ وقال: قُمْ سافِرْ لزيارة بيت المَقْدِس.

ثم قال النووي له: «قُمْ حتى نُودِّع أصحابنا وأحبابنا».

فخرجتُ معه إلى القبور التي دُفن فيها بعض شيوخه، فزارهم، وبكى، ثم زار أصحابه الأحياء، ثم سافر صبيحة ذلك اليوم.

وقال ابن العطار: وجرى لي معه وقائع ورأيت منه أموراً تحتمل مجلّدات. فسار إلى نَوى، وزار القدس والخليل عليه السلام، ثم عاد إلى نَوى، فمرض فيها في بيت والده، فبَلَغَني مرضُهُ، فقدِمْتُ من دمشق لِعيادته، ففرِح بي، وقال: «ارجع إلى أهلك». وودّعته وقد أشرف على العافية، يوم السبت العشرين من رجب سنة ست وسبعين وستمائة، وتُوفّي ليلة الأربعاء الرابع والعشرين من رجب، ودُفن صبيحتها بنَوى.

قال: فبيْنا أنا نائم تلك الليلة، إذا منادٍ ينادي بجامع دمشق:

«الصلاة على الشيخ ركن الدين الموقع».

فصاح الناس لذلك النداء، فاستيقظتُ، فبَلَغَنا ليلة الجمعة موتُه، وصُلّي عليه بجامع دمشق، وتأسّف المسلمون عليه تأسُّفاً بليغاً، الخاصّ والعام، المادح والذّام.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل ذكره رياض الصالحين، ومناجاته غذاء أرواح الفالحين والخضوع بين يديه والتضرع إليه عز العارفين، والتخلق بالأخلاق المحمدية والأخلاق النبوية شأن العالمين العاملين، أحمده سبحانه على نعمه. وأسأله المزيد من فضله وكرمه، وأشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له شهادة تبلغ القاصد من فضله سؤله وأمله وتنيله من بحر جوده ما قصده وأمله، ويعطيه بها من أنوار العرفان ما أشرق قلبه ونوره وكمله، وأشهد أن سيدنا ونبينا ووسيلتنا إلى ربنا محمداً ﷺ عبده ورسوله، وصفيه وحبيبه وخليله، المؤيد بأنواع المعجزات الباهرة، المكرم بالمكرمات الباطنة والظاهرة، الذي لا تحصى نعوته الشريفة ومناقبه ولا تعد ولا تحصر آياته المنيفة ومواهبه.

فإن فضل رسول الله ليس له حد فيعرب عنه ناطق بفم

صلى الله وسلّم عليه وزاده فضلاً وشرفاً لديه، وعلى آله وأصحابه، وأتباعه ووارثيه العلماء العاملين وأحزابه، صلاة وسلاماً دائمين متلازمين دائبين بدوام ملك الله تعالى وأمداده عدد خلقه ورضى نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته، كلما ذكره ذاكر، وغفل عن ذكره غافل. أداء لبعض حقوق سيد عباده آمين.

وبعد فهذا ما دعت إليه الحاجة من وضع تعليق لطيف، على نهج منيف، على كتاب (رياض الصالحين) تأليف شيخ الإسلام، علم الأئمة الأعلام، أوحد العلماء العاملين، والأولياء الصالحين، عين المحققين، وملاذ الفقهاء والمحدثين، وشيخ الحفاظ، وإمام أرباب الضبط المتقنين، شيخ الإسلام والمسلمين، الشيخ أبي زكريا يحيى محيي الدين بن شرف النواوي الشافعي، تغمده الله برحمته وأسكنه بحبوح جنته، وأعاد عليَّ وعلى المسلمين من بركته، لما أنه قد جمع ما يحتاج إليه السالك في سائر الأحوال، واشتمل على ما ينبغي التخلق به من الأخلاق، والتمسك به من الأقوال والأفعال، مغترفاً له من عباب الكتاب والسنة النبوية، ناقلاً لتلك الجواهر من تلك المعادن السنية، ولم أقف على كتابة عليه،

تكون كالدليل للسالك إليه، فاستخرت الله تعالى بالروضة الشريفة النبوية، عند سيد المرسلين، وحبيب رب العالمين، وخاتم الأنبياء والمرسلين، وإمام الخلائق أجمعين صلى الله وسلم عليه وزاده فضلاً وشرفاً لديه، في وضع هذا التعليق عليه ليكون كالرامز إليه والمؤول من الله سبحانه أن يعين على إتمامه. والسداد في تحرير أحكامه، وأن يجعله مصوناً من الخطأ والخطل، محفوظاً من الزيغ والزلل، خالصاً لوجهه الكريم، ذخيرة معدة عند سيدنا ونبينا وشفيعنا سيد المرسلين، عليه أفضل الصلاة والتسليم والله المعين وبه أستعين، وسميته دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين.

قال المصنف رحمه الله تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ، الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ .....

(**بسم الله الرحمن الرحيم**) أي: أؤلف والاسم مأخوذ من السمو، وهو العلو والله علم على الذات الواجب الوجود، المستحق لجميع المحامد، والرحمن الرحيم صفتان بنيتا للمبالغة من رحم، كعلم بعد نقله إلى باب فعل. كشرف، أو تنزيله منزلة اللازم، والمراد من الرحمة في حقه تعالى لاستحالة قيام حقيقتها به من الميل النفساني، غايتها، وهو إرادة الإحسان والتفضل. أو نفس الإحسان مجازاً مرسلاً. من إطلاق اللازم وإرادة الملزوم. فعلى الأول تكون صفة ذات، وعلى الثاني تكون صفة فعل (**الحمد لله**) الحمد اللفظي لغة: الثناء باللسان على الجميل الاختياري على جهة التعظيم. وعرفاً: فعل ينبىء عن تعظيم المنعم، لكونه منعماً على الحامد، أو غيره، فبينهما عموم، وخصوص وجهي، وجملة الحمد لله خبرية لفظاً، إنشائية معنى، وقيل: خبرية لفظاً ومعنى، وقيل: يجوز أن تكون موضوعة شرعاً لإنشاء الحمد، وهي مفيدة لاختصاصه بالله تعالى سواء أجعلت أل فيه للاستغراق كما عليه الجمهور، أم للجنس كما عليه الزمخشري، أم للعهد كما أجازه بعضهم، واللام في لله للاختصاص. وبدأ بالبسملة، ثم بالحمدلة، اقتداء بالكتاب العزيز، وعملاً بمقتضى خبر: «**كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه ببسم الله الرحمٰن الرحيم** ــ وفي رواية بالحمد لله، فهو أبتر» وإشارة إلى أنه لا تعارض بين الابتداءين. إذ الابتداء حقيقي وهو ما لم يسبق بشيء البتة، وإضافي، وهو ما سبق بغير ما التصنيف بصدده، أو يقال: الابتداء أمر عرفي يعتبر ممتداً إلى الشروع في المقصود فيسع أمرين فأكثر (**الواحد**) أي: ذاتاً وصفة وفعلاً فلا شريك له في شيء منها (**القهار**) أي: الذي قهر الخلائق وقسرهم بقدرته الأزلية، فلا يكون سوى مراده، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن بوجه من الوجوه، (**العزيز**) أي: الذي لا يغالب في حكمه، ولا يدافع في أمره، ولا يمانع في مراده، (**الغفار**) أي: الستار على ذنوب العصاة بعدم المؤاخذة بها، وفي التصدير بهذه الأسماء إيماء إلى أنه ينبغي أن

مُكَـوِّرِ اللَّيْـلِ عَلَى النَّهَـارِ تَـذْكِـرَةً لأُولِي الْـقُلُوبِ وَالأَبْـصَـار، وتَبْـصِـرَةً لِذَوِي الأَلْبَـابِ والاعْتِبَارِ، الَّذِي أَيْقَظَ مِنْ خَلْقِهِ مَنْ .....

يكون الرجاء، والخوف للإنسان، أي: حال الصحة بمثابة جناحي الطائر، وذلك أنه أشار إلى مقام الخوف بذكر الأسماء الثلاثة، والرجاء بالاسم الأخير. والحكمة في المبالغة في المقام الأول، أن من شأن النفس لا سيما عند عدم رياضتها، الميل إلى المخالفات والمنهيات، فصدر بذكر ما يدل على مقام الخوف والتحذير من بطشه سبحانه، ليكون قائداً للعبد إلى أبواب مولاه وإحسانه، وسبباً للانزجار عن المخالفات **(مكور الليل على النهار)** قال الواحدي في الوسيط: أي يدخل هذا على هذا، والتكوير طرح الشيء على الشيء، واكتفى بذكر تكوير الليل عن ذكر مقابله، وإنما اقتصر عليه لشرفه، لأنه موسم الخيرات للسالكين، ومحل الاشتغال بالذكر، والصلاة والمناجاة مع رب العالمين **(تذكرة)** مفعول له علة للتكوير، أو حال منه **(لذوي القلوب)** أي: لأصحاب القلوب العظيمة **(والأبصار)** في مفردات الراغب: البصر يقال للجارحة: الناظرة، وللقوة التي فيها، ولقوة القلب المدركة، ويقال لها بالمعنى الأخير: بصيرة أيضاً ا هـ. وعلى كل، فالعطف هنا من عطف المغاير: أما على الأولين فواضح، وأما على الأخير فإن البصر، والبصيرة اسمان لقوة القلب المدركة لا للقلب، وأتى به دون البصائر؛ ليكون اللفظ شاملاً لكل ذلك بناء على مذهب إمامنا الشافعي رضي الله عنه من جواز استعمال المشترك في معانيه، ومراعاة للجمع المستلذ في السمع **(وتبصرة)** هو كالتبصير مصدر لبصر المضاعف، كقدم تقدمة وتقديماً **(لذوي الألباب)** جمع لب أي العقول ويجمع على ألبّ، كبؤس على أبؤس، ونعم على أنعم. قال في القاموس: ويجمع على ألبب. **(والاعتبار)** والمراد منهم الذين يتفكرون في الآلاء ويعرفون أنها لم تخلق عبثاً وأن له سبحانه في كل مغنى معنى، وما أحسن قول من قال:

لا تقل دارها بشرقيّ نجد كل دار للعامرية دار
ولها منزل على كل ماء وعلى كل دمنة آثار

اصْطَفَاهُ فَزَهَّدَهُمْ في هذِهِ الدَّار، وَشَغَّلَهُمْ بِمُرَاقَبَتِهِ وَإِدَامَةِ ٱلْأَفْكَارِ، وَمُلَازَمَةِ الاتِّعَاظِ وَالادِّكار .....

مخلوقاته، وهو بيان لمن في قوله (من اصطفاه) من الصفوة بتثليث الصاد، وهو الخلوص، أي: اختاره (فزهدهم في هذه الدار) أي: في الدنيا يعني لما أيقظهم أدركوا حقيقة الدنيا، وأنها كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء، فزهدوا فيها وأعرضوا عن زهراتها، وأخذوا منها قدر الضرورة، وجعلوا ما وصل إليهم من ذلك من غير تطلع إليه مقدماً بين أيديهم، وعند مولاهم ذخيرة (وشغلهم) بتخفيف الغين المعجمة وتشديدها للمبالغة (بمراقبته) أي: بدوام نظر أنه سبحانه وتعالى ناظر لأعمالهم محيط بأقوالهم، وأفعالهم، فأقبلوا على إحسان العمل، وحفظوا أنفسهم من الزيغ والزلل، إذ لا يقع العصيان إلا مع الغفلة المعترية للإنسان (ومداومة) وفي نسخة وإدامة (الأفكار) أي: التفكر في مصنوعاته، والاستدلال بذلك على ألوهيته، وعظيم قدرته. قال تعالى: ﴿إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب * الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض﴾[1] الآية. وفي الحديث: «تفكروا في آلاء الله ولا تفكروا في ذات الله» وجاء بلفظ: «تفكروا في الخلق ولا تفكروا في الخالق فإنكم لا تقدرون قدره» وفي الحديث أيضاً مرفوعاً كما في الكشاف: «بينما رجل مستلق في فراشه، إذ رفع رأسه إلى النجوم وإلى السماء، فقال: أشهد أن لك رباً وخالقاً اللهم اغفر لي فنظر الله إليه فغفر له، فقال ﷺ: «لا عبادة كالتفكر» وقيل: «الفكرة تذهب الغفلة وتحدث للقلب الخشية كما يحدث الماء للزرع النبات، وما جليت القلوب بمثل الأحزان، ولا استنارت بمثل الفكرة»، وقد روي: «أن يونس عليه السلام كان يرفع له في كل يوم مثل عمل أهل الأرض» قالوا: وإنما كان ذلك التفكر في أمر الله الذي هو عمل القلب؛ لأن أحداً لا يقدر أن يعمل بجوارحه في اليوم مثل عمل أهل الأرض انتهى ما في الكشاف. قال ابن عباس وأبو الدرداء: «فكرة ساعة خير من قيام ليلة» قال السري السقطي: «فكرة ساعة خير من عبادة سنة ما هو إلا أن تحل أطناب خيمتك فتجعلها في الجنة» كذا في شرح رسالة ابن أبي زيد لداود (وملازمة الاتعاظ) أصله الايتعاظ بياء تحتية ساكنة بعد الهمزة المكسورة وبعدها تاء الافتعال فقلبت الياء تاء فوقية وأدغمت في تاء الافتعال على القاعدة في ذلك أي: أنهم كلما نزل بهم فقد شيء من مال أو إنسان اتعظوا بذلك، ونظروا إلى أن مآل الجميع الفناء وأن ما نزل بأخيك كأنه قد نزل بك، فالسعيد من اتعظ بغيره، وأقبل على ما فيه في المعاد أنواع خيره (وملازمة الأذكار)

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٩٠ ـ ١٩١.

وَوَفَّقَهُم لِلدُّؤوبِ في طَاعَتِهِ وَالتَّأَهُّبِ لِدَارِ الْقَرَارِ، وَالحَذرِ مِمَّايُسْخِطُهُ وَيُوجِبُ دَارَ الْبَوَارِ، وَالْمُحَافظَةِ عَلَى ذَلِكَ مَعَ تَغَايُرِ الأَحْوَالِ والأَطْوَارِ.

بالمعجمة، والمهملة، وأصله اذتكار بمعجمة، ثم فوقية فأبدلت الفوقية لما في التلفظ بها بعد الذال المعجمة من الثقل ذالاً معجمة أو مهملة[١] وأدغم فيها فاء الفعل، والأذكار هو الذكر بعد النسيان، والتنبه بعد سنة الغفلة (**ووفقهم**) من التوفيق، وهو خلق القدرة على الطاعة في العبد، وهو عزيز، ولذا لم يذكر في القرآن إلا في قوله تعالى: ﴿وما توفيقي إلاّ بالله﴾[٢]، وأما قوله تعالى: ﴿إن أردنا إلا إحساناً وتوفيقاً﴾[٣] وقوله تعالى: ﴿يوفق الله بينهما﴾[٤] فمن مادة الوفاق (**للدأب**) أي: المداومة، والاجتهاد (**في**) مزاولة[٥] (**طاعته والتأهب**) أي: الاستعداد (**لدار القرار**) أي: الدار الآخرة (**والحذر**) بالجر عطفاً على الدأب، أو على التأهب، قولان في مثله الراجح منهما الأول ما لم تقم قرينة على خلافه (**مما يسخطه**) أي: يكون سبباً لسخطه سبحانه من المخالفات والعصيان، وفي مفردات الراغب: السخط من الله تعالى إنزال العقوبة ا هـ. وهو بيان للمراد منه إذا وصف به الباري سبحانه (**ويوجب دار البوار**) كالمفسر للسخط ثم الذي يوجب النار، هو الموت على الكفر، والعياذ بالله تعالى، وفي نسبة الإيجاب إليه تجوز في الإسناد، إذ الموجب لذلك بذلك هو الله سبحانه أما باقي العصيان فالصغائر المتصلة بحقوق الله تعالى مكفرة بصالح العمل، ومنه اجتناب الكبائر، والمتعلقة بحق العباد لا بد من إرضاء مستحقها، والكبائر لا يكفرها إلا التوبة، أو فضل الله سبحانه (**و**) وفقهم (**للمحافظة على ذلك**) أي: المذكور من الدأب في الطاعة والحذر مما يوجب السخط (**مع تغاير الأحوال**) أي: اختلافها ظرف وقع حالاً من المحافظة، يعني أن تغاير الأحوال أي: اختلافها بالخصب والجدب والرخاء والشدة والفراغ والشغل بالتجارة ونحوها من مزاولة أعمال النفس، والعيال لم يؤثر في سلوكهم وإقبالهم على عبودية مولاهم من امتثال أوامره واجتناب زواجره، إجلالاً له سبحانه قال الله تعالى: ﴿رجال

---

(١) بالمعجمة قليل، قرىء فهل من مذكر. ش.

(٢) سورة هود، الآية: ٨٨.

(٣) سورة النساء، الآية: ٦٢.

(٤) سورة النساء، الآية: ٣٥.

(٥) زاوله مزاولة وزوالاً عالجه وحاوله وكالبه. ا هـ قاموس.

أَحْمَدُهُ أَبْلَغ حَمْدٍ وَأَزْكاه، وَأَشْمَلَهُ وَأَنْمَاهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْبَرُّ

لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله﴾[1] وقال ﷺ: «ليذكرن الله قوم على الفرش الممهدة» وقال الشاعر:

فلو قطعتني إربا فإربا ... لما حن الفؤاد إلى سواكا

والأحوال جمع حال، يجوز تذكير لفظها، وتأنيثه، بأن يقال: حالة وتذكير معناها وتأنيثه، والأرجح تأنيث معناها، فيقال: حال حسنة، قال الراغب في مفرداته: الحال ما يختص به الإنسان وغيره من أموره المتغيرة في نفسه، وجسمه، وشأنه، والحول ما له من القوة في أحد هذه الأصول الثلاثة (و) تغاير (الأطوار) أي: الاختلاف في الخلق والخلق كما يفهم من مفردات الراغب (أحمده) أي: أصفه بجميع صفاته إذ كل منها جميل، ورعاية جميعها أبلغ في التعظيم، قيل: وهو أبلغ من الأول[2] لأنه حمد بجميع الصفات برعاية الأبلغية، وذاك بواحد منها وهي المالكية[3] وإن لم تراع الأبلغية بأن يراد الثناء ببعض الصفات، فذلك البعض أعم من هذه الواحدة لصدقه بها، وبغيرها الكثير، فالثناء بهذا أبلغ في الجملة أيضاً، نعم الثناء بالأول من حيث تفصيله أي: تعيينه أوقع في النفس من هذا، وقيل: بل التحقيق أن الحمد بالأول أبلغ، وأفضل ومن ثم قدم بل أخذ البلقيني من إيثار القرآن الحمد لله رب العالمين بالابتداء به أنه أبلغ صيغ الحمد. وعلى الأول فآثر القرآن الجملة الاسمية لأن الحمد فيه لمقام التعليم والتعيين فيه أولى، وجمع بين الحمد بالجملتين تأسياً بحديث: «إن الحمد لله نحمده»، وليجمع بين ما يدل على دوام الحمد، واستمراره، وهو الأول، وعلى تجدده، وحدوثه، وهو الثاني «أبلغ حمد» أي: أنهاه من حيث الإجمال لا التفصيل، لعجز الخلق عنه حتى الرسل حتى أكملهم نبينا ﷺ حيث قال: «لا أحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك» (وأشمله) أعمه (وأزكاه) (أنماه) (وأكمله وأشهد) أي: أعلم وأبين (أن لا إله) أي: لا معبود بحق (إلا الله) بالرفع، وجوز فيها النصب، وقد بسطت الكلام في ذلك في باب فضل الذكر من شرح الأذكار للمصنف رحمه الله تعالى، وأتى بها لحديث أبي داود والترمذي الصحيح: «كل خطبة ليس فيها تشهد فهي كاليد الجذماء» أي: القليلة البركة (البر) بفتح الموحدة قال في النهاية: هو العطوف

(١) سورة النور، الآية: ٣٧.

(٢) أي من قوله الحمد لله الواحد القهار الخ. ع.

(٣) لعل الصواب أن يقول. وذاك ببعضها وهو ما ذكر من الوحدانية والقاهرية الخ وربما ظن الشارح أن المصنف قال الحمد لله رب العالمين فرتب عليها قوله وهي المالكية، والخطب سهل. ع.

الْكَرِيم، الرَّؤُوفُ الرَّحِيمُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سيِّدنا مُحمَّداً عَبْدُهُ ورَسُولُهُ وَحَبِيبُهُ وَخَلِيلُهُ،

على عباده ببره ولطفه. والبر والبار بمعنى واحد وإنما جاء في اسم الله تعالى البرّ دون البار (الكريم) قال البيضاوي: هو من صفات الذات، والله تعالى لم يزل ولا يزال كريماً، ومعناه تقدسه عن النقائص، والصفات المذمومة، والنفيس يقال له: كريم ومنه كرائم الأموال، وقيل: الكريم الدائم البقاء الجليل الذات الجميل الصفات، وقيل: هو من صفات الأفعال، وعليه فقيل: هو من ينعم قبل السؤال ولا يحوجك إلى وسيلة ولا يبالي من أعطي ولا ما أعطي، وقيل غير ذلك مما ذكرت بعضه ثمة (الرؤوف الرحيم) الرأفة شدة الرحمة، فهو أبلغ من الرحيم، وأخر والقياس يقتضي الترقي من الأدنى للأعلى مراعاة للسجع، وقيل: الفرق بين الرأفة والرحمة إن الرأفة إحسان مبدؤه شفقة المحسن، والرحمة إحسان مبدؤه فاقة المحسن إليه، ثم الرحمة لكونها عطفاً نفسانياً يستحيل قيامها به تعالى المراد بها غايتها كما تقدم قريباً. قال ابن حجر الهيتمي ــ وهو مرادي إذا أطلقت لفظ ابن حجر ــ في شرح المشكاة: الرأفة باطن الرحمة، والرحمة من أخص أوصاف الإرادة بناء على أنها صفة ذات، أي إرادة الإنعام ــ ومنه كشف الضر ودفع السوء ــ بنوع من اللطف، والرأفة بزيادة رفق ولطف، وفي الإتيان بهذه الأسماء في هذا المقام إيماء إلى أن التوفيق إلى سلوك مقام العبودية والخروج عن أوصاف البشرية من محض عطاء، وكرم البر الكريم، ورأفة ورحمة الرؤوف الرحيم قال تعالى: ﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبداً ولكن الله يزكي من يشاء﴾[1] وقال من قال: لولا تعرفهم ما كنت تعرفهم (وأشهد أن محمداً) علم منقول من اسم مفعول المضعف سمي به نبينا ﷺ مع أنه لم يؤلف قبل أوان ظهوره بإلهام من الله لجده عبد المطلب، إشارة إلى كثرة خصاله المحمودة ورجاء أن يحمده أهل الأرض، والسماء، وقد حقق الله تعالى رجاءه قيل: وكما اشتملت ذاته على كمال سائر الأنبياء والمرسلين اشتمل اسمه الشريف بحساب الجمل على عدة الرسل، بناء على أنهم ثلاثمائة وأربعة عشر[2] (عبده) قدم لأنه أسنى أوصافه، ومن ثم ذكر في أفخم مقاماته: أسرى بعبده. نزل الفرقان على عبده فأوحى إلى عبده. قال ﷺ: «أنا سيد ولد آدم ولا فخر» أي: لا أفتخر بالسيادة إنما فخري بعبوديته سبحانه وتعالى. ذكره العارف أبو العباس المرسي (ورسوله) هو من البشر، ذكر

---

(١) سورة النور، الآية: ٢١.

(٢) كيفية ذلك أن تبسط حروفه هكذا ميم حاميم ميم دال ثم يحسب ذلك بالجمل الصغير فيكون المجموع ثلاثمائة وأربعة عشر. ع.

. . . . . .

أوحى إليه بشرع وأمر بتبليغه، فإن لم يؤمر فنبي فحسب، وهو أفضل من النبي إجماعاً، لتميزه بالرسالة التي هي على الأصح خلافاً لابن عبد السلام أفضل من النبوة فيه. وزعم تعلقها بالحق يرده أن الرسالة فيها ذلك مع التعلق بالخلق فهو زيادة كمال فيها (وحبيبه) الأكبر كما يشهد به حديث: «ألا وأنا حبيب الله ولا فخر» إذ محبة الله للعبد المستفادة من قوله تعالى: ﴿يحبهم ويحبونه﴾[1] على حسب معرفته به، وأعرف الناس بالله تعالى نبينا ﷺ، فهو أحبهم له وأخصهم باسم الحبيب، وسيأتي الكلام على المحبة إن شاء الله تعالى في قوله في الحديث القدسي: «قال الله تعالى: ومن عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، ولا يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه» الحديث. وحبيب، فعيل بمعنى مفعول من أحبه فهو محب أو من حبه يحبه بكسر الحاء فهو محبوب (وخليله) الأعظم كما يؤذن به حديث: «لو كنت متخذاً خليلاً غير ربي لاتخذت أبا بكر خليلاً» وهو فعيل بمعنى مفعول أيضاً من الخلة بالفتح، وهي الحاجة أو بالضم، وهي تخلل المودة في القلب لا تدع فيه خلاء إلا ملأته، وقد خالل قلبه ﷺ من أسرار الهيبة، ومكنون الغيوب والمعرفة والاصطفاء ما لم يدع أن يطرق قلبه نظر لغيره. هكذا قال ابن حجر. ثم اقتصاره على كون فعيل فيه بمعنى مفعول لعله لكونه أنسب بمقام الأدب، وأشرف لكونه المختار للخلة التي هي غاية الأرب، وإلَّا ففي النهاية: الخليل الصديق، فعيل بمعنى فاعل، وقد يكون بمعنى مفعول من الخلة بضم أوله الصداقة، والمحبة التي تخللت القلب فصارت في خلاله أي: باطنه وقيل: هي تخلل المودة في القلب بحيث لا تدع فيه خلاء إلا ملأته، أو من الخلة بالفتح، وهي الحاجة والفقر ا هـ. ثم الذي رجحه جمع متأخرون كالبدر الزركشي وغيره أن الخلة أرفع، لأنها نهاية المحبة، وغايتها قال ابن القيم: وظن أن المحبة أرفع من الخلة، وأن إبراهيم خليل، ومحمداً حبيب، غلط وجهل، وما احتج به لأن المحبة أرفع من الخلة من نحو حديث البيهقي: «إنه تعالى قال له ﷺ ليلة الإسراء: يا محمد سل تعط. فقال: يا رب إنك اتخذت إبراهيم خليلاً فقال: ألم أعطك خيراً من هذا، إلى قوله واتخذتك حبيباً» وإن الحبيب يصل بلا واسطة، بخلاف الخليل قال تعالى في نبينا: ﴿فكان قاب قوسين أو أدنى﴾[2] وفي إبراهيم: ﴿وكذلك نري إبراهيم ملكوت السموات والأرض﴾[3] والخليل

(١) سورة المائدة، الآية: ٥٤.
(٢) سورة النجم، الآية: ٩.
(٣) سورة الأنعام، الآية: ٧٥.

الهَادِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيم، وَالدَّاعِي إِلَى دِينٍ قَويم، صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ وَعلَى سَائِرِ النَّبِيِّينَ، وَآلِ كُلٍّ وَسَائِرِ الصَّالحينَ.

قال: ﴿لا تخزني﴾[1] والحبيب قيل له: ﴿يوم لا يخزي الله النبي﴾[2] وغير ذلك إنما يقتضي تفضيل ذات محمد ﷺ على ذات إبراهيم عليه السلام، مع قطع النظر عن وصفي المحبة والخلة، وهذا لا نزاع فيه، إنما النزاع في الأفضلية المستندة إلى أحد الوصفين، والذي قامت عليه الأدلة أن استنادها إلى وصف الخلة الموجودة في كل من الخليلين أفضل، فخلة كل منهما أفضل من محبته، واختصا بها لتوفر معناها السابق فيهما أكثر من بقية الأنبياء، ولكون هذا التوفر في نبينا أكثر منه في إبراهيم كانت خلته أرفع من خلة إبراهيم صلى الله عليهما وسلم ا هـ. **(الهادي)** أي: الدال **(إلى صراط)** قال الراغب: الصراط الطريق المستقيم ا هـ. فيكون قوله: **(مستقيم)** إما إطناباً، أو جرد لفظ الصراط وأريد منه مطلق الطريق وفيه اقتباس من قوله تعالى: ﴿وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم﴾[3] وليس شرط الاقتباس إيراد اللفظ القرآني من غير تغيير، بل يحصل وإن وجد التغيير. نقله الحافظ السيوطي في أوائل حاشيته على تفسير البيضاوي وقوله: **(والداعي إلى دين قويم)** هي الشريعة الحنيفية السمحة التي جاء بها ﷺ إلى أمته أشرف الأمم، إطناب لأن ما قبله بمعناه، أو من عطف العام على الخاص، لأن الهداية الدلالة بلطف، والدعوة تشمل ذلك وغيره **(صلوات الله وسلامه عليه)** الصلاة منه تعالى رحمة مقرونة بتعظيم ولفظها مختص بالمعصوم من نبي وملك تعظيماً لهم، وتمييزاً لمراتبهم عن غيرهم، والسلام هو تسليمه إياه من كل آفة ونقص، والجملة خبرية لفظاً، إنشائية معنى، وأتى بالصلاة بعد الحمد لخبر: «كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بحمد الله والصلاة عليّ فهو أقطع أبتر ممحوق من كل بركة» وسنده ضعيف، لكنه في الفضائل، وهي يعمل فيها بذلك، وخبر: «من صلى على رسول الله ﷺ في كتاب صلت عليه الملائكة غدوة ورواحاً ما دام اسم رسول الله ﷺ في ذلك الكتاب» نازع ابن القيم في رفعه قال: والأشبه أنه من كلام جعفر بن محمد لا مرفوع **(وعلى سائر)** أي: باقي من السؤر بالهمز بقية نحو الطعام **(النبيين)** مر تعريف النبي وأنه أعم من الرسول **(وآل كل)** أي: كل واحد من النبيين، فحذف المضاف إليه لدلالة السياق عليه.

---

(١) سورة الشعراء، الآية: ٨٧.

(٢) سورة التحريم، الآية: ٨.

(٣) سورة الشورى، الآية: ٥٢.

أَمّا بعدُ قَالَ اللهُ تَعَالَى(١): ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾. . . .

وأصل آل أول بفتح الواو تحركت الواو، وانفتح ما قبلها فقلبت ألفاً، وقيل: أهل لتصغيره على أهيل، والصحيح جواز إضافته إلى الضمير، وآل نبينا ﷺ عند الشافعي مؤمنو بني هاشم، والمطلب، هذا بالنسبة لنحو الزكاة دون مقام الدعاء، ومن ثم اختار الأزهري وغيره من المحققين أنهم هنا كل مؤمن تقي، لحديث فيه. وآل إبراهيم إسماعيل وإسحاق وغيرهما من المسلمين من ذريته **(وسائر الصالحين)** وهم القائمون بحقوق الله وحقوق العباد، فدخل الصحابة كلهم لثبوت وصف الصلاح والعدالة لجميعهم، ودخل غيرهم ممن اتصف بذلك جعلنا الله منهم **(أما بعد)** كلمة يؤتى بها للانتقال من أسلوب إلى آخر، وأتى بها تأسياً به ﷺ، فإنه كان يأتي بها في خطبه ونحوها كما صح عنه، بل رواها عنه اثنان وثلاثون صحابياً، والمبتدىء بها قيل داود عليه السلام فهي فصل الخطاب الذي أوتيه، لأنها تفصل بين المقدمات والمقاصد والخطب، والمواعظ. قال العلقمي في حاشية الجامع الصغير: وبهذا قال كثير من المفسرين. وقيل: قس بن ساعدة. وقيل: كعب بن لؤي. وقيل: يعرب بن قحطان. وقيل: سحبان بن وائل. وعليها ففصل خطاب داود، هو البينة على المدعي واليمين على من أنكر. وقال المحققون: فصل الخطاب الفصل بين الحق والباطل. ويجوز في دالها الضم والفتح منوناً وغير منون، ووجوه ذلك لا تخفى. لكنها منوناً تكون على لغة من يقف على المنون المنصوب بالسكون وهم ربيعة، ولكون أما نابت عن اسم شرط هو مهما أجيبت بالفاء إذ التقدير مهما يكن من شيء بعد ما تقدم من الحمد، والصلاة، والسلام **(فقد قال الله تعالى)** عما لا يليق بشأنه، وهي جملة في محل الحال اللازمة إن أبقيت على خبريتها، وإلا فاستئنافية مسوقة لإنشاء الثناء عليه سبحانه: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾(٢) قال الكواشي في تفسيره الكبير: أومأ تعالى إلى أنه لم يخلق الخلق ولم يرسل رسله عبثاً، وإنما خلقهم لأمر عظيم، هو توحيده، وطاعته مع غناه عن ذلك تفضيلاً لهم وتشريفاً، ثم هذا خاص بأهل الطاعة من الفريقين، ويؤيده أنه قرىء: ﴿وما خلقت الجن والإنس من المؤمنين﴾(٣) وقيل عام معناه ما خلقتهم إلا لآمرهم بالعبادة، لقوله: ﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين﴾(٤) وقيل: المعنى ما خلقت السعداء

(١) سورة الذاريات: الآيتان ٥٦ و ٥٧.

(٢) سورة الذاريات، الآية: ٥٦.

(٣) سورة الذاريات، الآية: ٥٦.

(٤) سورة البينة، الآية: ٥.

مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ﴾، وَهذَا تَصْرِيحٌ بِأَنَّهُمْ خُلِقُوا لِلْعِبَادَة، فَحَقَّ عَلَيْهِم الاعْتِنَاءُ بِمَا خُلِقُوا لَه وَالإِعْرَاضُ عن حُظُوظِ الدُّنْيَا بالزَّهَادَة؛ فإنَّهَا دَارُ نَفَادٍ لَا مَحَلُّ

من الفريقين إلا لعبادتي والأشقياء منهما إلا لمعصيتي، وقيل: إلا ليعبدون. ليعرفون لأنه لو لم يخلقهم لم يعرفوا وجوده كقوله: ﴿ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله﴾[1] وأصل العبادة الخضوع والتذلل، والمعنى إلا ليخضعوا ويتذللوا، وكل مخلوق خاضع ذليل لقضاء الله تعالى. وقيل: إلا ليعبدون ليوحدون، فالمؤمن يوحده في كل حال، والكافر يوحده في الضراء، لقوله تعالى: ﴿فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين﴾[2] وقال بعضهم إلا ليعرفون، ويعبدون على بساط المعرفة ليتبرءوا من الرياء، والسمعة. وقال ابن عطاء: إلا ليعرفون وما يعرفه حقيقة من وصفه بما لا يليق به اهـ. وللزمخشري في كشافه في هذه الآية رمز إلى دسيسة اعتزالية نبهت عليها في شرح الأذكار[3] ولما كلفهم خدمته أخبرهم أنه قد كفاهم مؤنة ما يحتاجون إليه فقال تعالى: ﴿ما أريد منهم من رزق﴾ أي: ما أريد أن يرزقوا أنفسهم ولا أحد من خلقي: ﴿وما أريد أن يطعمون﴾ يعني أنفسهم ولا أحداً من خلقي ونسب الإطعام إلى الله، لأن الخلق عياله سبحانه، ومن أطعم عيال أحد، فكأنما أطعمه (وهذا) أي: القول المدلول عليه بقوله قال الله تعالى (تصريح بأنهم خلقوا للعبادة) أي: فقط كما يفيده الاستثناء أي: خلقوا لذلك لا لجمع الدنيا، والأرزاق ونحوها مما يحتاج إليه فإن الله تعالى قد كفاهم مؤنة ذلك ولذا عقب هذه الآية بقوله كما تقدم: ﴿ما أريد منهم من رزق﴾[4] (فحق) أي: وجب وفي نسخة بتنوينه أي: فواجب فيكون خبراً لقوله الاعتناء (عليهم الاعتناء بما خلقوا له) والاعتناء توجيه العناية إلى ما خلقوا له من معرفة الله تعالى، وأداء حق العبودية (والإعراض) أي: التولي يقال: أعرض عن كذا ولى مبدياً عرضه قال

---

(١) سورة الزخرف، الآية: ٨٧.

(٢) سورة العنكبوت، الآية: ٦٥.

(٣) قال في الكشاف أي وما خلقت الجن والإنس إلا لأجل العبادة ولم أرد من جميعهم إلا إياها فإن قلت: لو كان مريداً للعبادة لكانوا كلهم عباداً، قلت: إنما أراد منهم أن يعبدوه مختارين لا مضطرين إليها لأنه خلقهم متمكنين فاختار بعضهم ترك العبادة مع كونه مريداً لها، ولو أرادها على القسر والإلجاء لوجدت من جميعهم الخ.

(٤) سورة الذاريات، الآية: ٥٧.

إِخْلَاد، وَمَرْكَبُ عُبُورٍ لَا مَنْزِلُ حُبُور، وَمَشْرَعُ انْفِصَامٍ لَا مَوْطِنُ دَوَام؛ فَلِهَذَا كَانَ الْأَيْقَاظُ . . . . . .

تعالى: ﴿وأعرض عن الجاهلين﴾[١] كذا في مفردات الراغب **(عن حظوظ الدنيا)** أي: الترفهات المعتادة الزائدة على ما به القوام من دار تكنه، وثوب يستر عورته، وجريش الخبز، والماء، قال ﷺ: «لا حق لابن آدم إلا في ثلاثة طعام يقيم به صلبه وثوب يواري به عورته، وبيت يكنه فما زاد فهو حساب» أورده الغزالي في الإحياء وقال العراقي في تخريج أحاديثه: رواه الترمذي وقال وجلف[٢] الخبز والماء بدل قوله طعام يقيم به صلبه وقال صحيح. أما حقوق الدنيا مما ذكر فالإعراض عنه ليس بمطلوب، لكن من غير أن يشغله ذلك عن القيام بفريضة الوقت **(بالزهادة)** مصدر كالزهد وسيأتي تعريفه **(فإنها)** أي: الدنيا **(دار نفاد)** أي: فناء قال الله تعالى: ﴿إن هذا لرزقنا ماله من نفاد﴾[٣] **(لا محل إخلاد)** عدل إليه عن خلود للسجع[٤] **(ومركب عبور لا منزل حبور)** أي: أنها مركب يتوصل بها إلى الدار الآخرة، وليست منزل الفرح والسرور. قال ﷺ: «كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل» وأخرج الترمذي وغيره حديثاً فيه أنه ﷺ قال: «ما لي وللدنيا؟ ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها» **(ومشرع انفصام)** أي: انقطاع **(لا موطن دوام)** ولا يخفى ما في عبارته من الاستعارات، وذلك أنه شبه الدنيا أولاً بالمركب الذي يتوصل به إلى المكان المراد بجامع أن كلاً منهما يوصل لما بعده فالدنيا لا يوصل بها إلى الآخرة إلا بالعبور فيها، والمرور منها لسبقها عليها. والبلد المراد لا يوصل إليه إلا بركوب نحو الدابة، وثانياً بالمشرع أي: محل الماء بجامع الورود لكل وأطلق عليها اسم المشبه به ففيه تشبيه بليغ **(فلهذا)** أي: ما ذكر **(كان الأيقاظ)** جمع يقظ بكسر القاف في النهاية رجل فطن ويقظ

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٩٩.

(٢) لفظ الحديث ليس لابن آدم حق فيها سوى هذه الخصال بيت يكنه وثوب يواري عورته وجلف الخبز والماء ا هـ. والجلف بكسر فسكون الغليظ اليابس من الخبز أو الخبز غير المأدوم أو حرف الخبز وفي رواية وجلف بكسر ففتح وهو جمع جلفة وهي الكسرة. وفي رواية وجرف بكسر الجيم وفتح الراء وهي جمع جرفة وهي الكسرة أيضاً. قال الصاغاني ليست الأشياء المذكورة بخصال ولكن المراد إكنان بيت ومواراة ثوب وأكل جرف وشرب ماء فحذف ذلك كقوله تعالى واسأل القرية ا هـ. ملخصاً من تاج العروس. ع.

(٣) سورة صٓ، الآية: ٥٤.

(٤) الخلود بالضم الدوام والبقاء، والخلد بضم فسكون دوام البقاء، وإخلاد المرء إلى صاحبه: ميله وركونه إليه، وإخلاد المرء بالمكان إقامته فيه وخلد الله فلاناً تخليداً وأخلده إخلاداً جعله خالداً. ع.

مِنْ أَهْلِها هُم الْعُبَّادُ، وَأَعْقَلُ النَّاسِ فِيهَا هُمُ الزُّهَّاد. قَالَ اللَّهُ تعالى[١]: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ، حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَاراً فَجَعَلْنَاهَا حَصِيداً كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ، كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾، والآياتُ في هذا المَعنَى كثيرةٌ. ولقد

ويقظان إذا كان فيه معرفة وفطنة ا هـ. (من أهلها) أي: الدنيا (هم العباد) وأعلاهم فيها أرباب العرفان بالله (وأعقل الناس فيها هم الزهاد) قال الدميري في منظومه رموز الكنوز:

وأكيس الناس وأعقل الورى ... هم الذين زهدوا فيما ترى
إذ نبذوا الدنيا لعلمهم بها ... ورغبوا في أختها لقربها

(قال الله تعالى) مبيناً حال الدنيا في زوالها، وسرعة تحولها، وانتقالها: (إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به) أي: اختلط لسبب المطر (نبات الأرض) واشتبك بعضه في بعض. ومحل (مما يأكل الناس والأنعام) حال من نبات أو صفة له (حتى إذا أخذت الأرض زخرفها) زينتها، وحسنها، وظهر الزهر (وازينت) بالزهر، والنبات. وقرىء وأزينت مخففة وازيانت كابياضت (وظن أهلها أنهم قادرون عليها) متمكنون من تحصيل ثمارها (أتاها أمرنا) قضاؤنا (ليلاً أو نهاراً) أي: في أحدهما (فجعلناها) أي: فجعلنا زرعها (حصيداً) أي: محصوداً (كأن لم تغن)[٢] لم تقم (بالأمس) بالزمان الماضي لا اليوم الذي قبل يومك فقط، وقرىء يغن بالتحتية. ذكره الكواشي في التفسير الصغير (كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون) قال البيضاوي: الآية في الأصل، العلامة الظاهرة وتقال للمصنوعات من حيث إنها تدل على وجود الصانع، وعلمه، وقدرته، ولكل طائفة من كلمات القرآن المتميزة عن غيرها بفصل، واشتقاقها من أيّ لأنها تبين أياً من أي. أو من أوي إليه وأصلها[٣] أية أو أوية. كتمرة فأبدلت عينها على غير قياس أو أيية أو أوية كرمكة[٤]

---

(١) سورة يونس: آية ٢٤.

(٢) في البيضاوي كأن لم تغن أي لم يغن زرعها أي لم ينبت.

(٣) يؤخذ من شرح القاموس أن الآية وزنها فعلة بفتح فسكون وأصلها اية بالتشديد قلبت الياء ألفاً لانفتاح ما قبلها وهو قلب شاذ، أو وزنها فعلة بالتحريك وأصلها أوية قلبت الواو ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها، أو وزنها فاعلة وأصلها أيية حذفت الياء الثانية ففتحت الأولى وأما ما قيل من أن المحذوف هو الياء الأولى فقد رد عليه الفراء وقال إنه خطأ. ع.

(٤) بفتحات. وهي الفرس، والبرذونة التي تتخذ للنسل. ع.

أَحْسَنَ الْقَائِلُ:

إنَّ لِلَّهِ عِبَاداً فُطَنَا طَلَّقُوا الدُّنْيَا وَخافُوا الْفِتَنَا
نَظَرُوا فيها فَلَمَّا عَلِمُوا أَنَّهَا لَيْسَتْ لِحَيٍّ وَطَنَا

فأعلت، أو آئية كقاتلة فحذفت الهمزة تخفيفاً ا هـ. **(والآيات في هذا المعنى كثيرة)** منها قوله تعالى: ﴿واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيماً تذروه الرياح﴾[1] **(ولقد أحسن القائل)** في بيان سرعة فناء الدنيا **(إن لله عباداً)** عظيمين كما يؤذن به التنوين **(فطناً)** بضم الفاء وفتح الطاء المهملة جمع فطن من له عقل ونظر في العواقب **(طلقوا الدنيا)** كناية عن الزهد فيها، وترك الاشتغال بشأنها **(وخافوا الفتنا)** بكسر الفاء، وفتح الفوقية جمع فتنة وهي: الامتحان والاختبار كما في النهاية، وفي مفردات الراغب: الفتنة تستعمل في إدخال الإنسان النار أو فيما يحصل عنه العذاب، وفي الاختبار جعلت الفتنة كالبلاء في أنهما يستعملان فيما يعتري الإنسان من شدة ورخاء، وهما في الشدة أظهر معنى وأكثر استعمالاً ا هـ. والحاصل أن الفتن المترتبة على الاشتغال بالدنيا ومخالطتها كثيرة كالشره وجمع المال من غير اعتبار حله والضنة به[2] ومنع الحق الواجب فيه، والتكبر، والعجب **(نظروا فيها)** أي: نظروا في الدنيا بعين البصيرة فعرفوا سرعة زوالها، وتحولها، وانتقالها، كأنك بالدنيا ولم تكن، وبالآخرة ولم تزل **(فلما علموا)** بجلاء البصيرة أي شهدوا ذلك، وصار لهم حالاً، ومذاقاً، وإلا فكل عاقل يعلم أن الدنيا دار زوال، وانتقال، لكن حجبت بصائرهم غشاوة الغفلة فمالوا إلى لذاتها مع علمهم بحقيقة ذاتها **(أنها ليست لحي وطناً)** أي: داراً يتوطن فيها على الأبد لأن الإنسان في هذه الدار كالمسافر المرتحل، وقد سبق حديث: «كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل» وقال الشاعر في المعنى:

ألا إنما الدنيا كمنزل راكب أقام عشياً وهو بالصبح رائح

والوطن الحقيقي هو الدار الآخرة التي لا نهاية لآخرها بإرادة الله تعالى وقدرته كما جاء في الحديث: «يا أهل الجنة خلود بلا موت، ويا أهل النار خلود بلا موت» قال بعضهم: هذا هو المراد من حديث: «حب الوطن من الإيمان» أي: فينبغي لكامل الإيمان أن يعمر وطنه،

---

(١) سورة الكهف، الآية: ٤٥.
(٢) أي البخل.

جَـعَـلُوها لُـجَّـةً واتَّـخَـذُوا صَـالِـحَ الأَعْمَـالِ فِيهَـا سُفُنَـا

فَإِذَا كَان حالُها ما وَصَفْتُهُ، وَحَالُنَا، وَمَا خُلِقْنَا لَهُ ما قَدَّمْتُهُ، فَحَقٌّ عَلَى الْمُكَلَّفِ أَنْ يَذْهَبَ بِنَفْسِه مَذْهَبَ الأَخْيَار، وَيَسْلُكَ مَسلَكَ أُولِي النُّهَى وَالأَبْصَار، وَيَتَأَهَّبَ

بالعمل الصالح، والإحسان (**جعلوها لجة**) في النهاية لجة البحر معظمه. والمراد أنهم جعلوها بمثابة البحر الذي يتوصل بالعبور فيه إلى المقصد، ففي العبارة تشبيه بحذف الأداة (**واتخذوا صالح الأعمال**) من إضافة الصفة لموصوفها (**فيها**) أي: في اللجة (**سفناً**) فيه أن العمل الصالح بمثابة المركب الذي يعبر به لجة البحر وقد جاء في الحديث: «إن صاحب العمل الصالح يركبه يوم القيامة» قال تعالى: ﴿يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفداً﴾[1] كما أن العمل السيء يركب صاحبه قال تعالى: ﴿وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم﴾[2] (**فإذا كان حالها ما وصفته**) من الزوال، وسرعة التحول، والانتقال (**وحالنا وما خلقنا له**) عطف تفسير لما قبله. وفي نسخة بحذف العاطف قبل ما، فيكون حالنا مبتدأ أولاً، وما موصولاً اسمياً مبتدأ ثانياً. وقوله: (**ما قدمته**) خبراً عنه، وهو وما قبله خبر الأول، أو يكون ما تابعاً لحالنا، وما بعده خبراً عما قبله، والمراد من قوله ما قدمته أي: من القيام بأعباء العبادة (**فحق**) أي: واجب بناء على تنوينه، وهو كذلك بالقلم بضبط محدث اليمن الشيخ سليمان العلوي، أو فحق أي وجب، وثبت (**على المكلف**) البالغ، العاقل سمي بذلك لأنه مأمور بما فيه كلفة (**أن يذهب بنفسه مذهب الأخيار**) وأن ومدخولها خبر، أو فاعل حقّ، والأخيار هم القائمون بما أمروا به، والتاركون لما نهوا عنه. جمع خير أو خير على الحذف للتخفيف كأموات جمع ميت، أو ميت كذا في إعراب الهمداني المسمى بالعقد الفريد (**ويسلك مسلك أولي**) أي: أصحاب لا واحد له من لفظه، بل من معناه وهو ذو، وكتبت الواو بعد همزته حال النصب، والجر، فرقا بينه وبين إلى الجارة، وحملت حالة الرفع عليهما (**النهى**) بضم النون، جمع نهية بالضم، أي: العقول والألباب، سميت بذلك لأنها تنهى صاحبها عن القبيح (**والأبصار**) جمع بصر بمعنى البصيرة أي: القلب. في مفردات الراغب: يقال لقوة القلب المدركة بصيرة وبصر نحو: ﴿فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد﴾[3]، وجمع البصر أبصار، وجمع البصيرة بصائر، ولا يكاد يقال للجارحة بَصيرة (**ويتأهب**) من الأهبة (**لما أشرت إليه**) من أداء العبودية، والإعراض عن أعراض الدنيا

---

(١) سورة مريم، الآية: ٨٥.
(٢) سورة الأنعام، الآية: ٣١.
(٣) سورة قّ، الآية: ٢٢.

لَمَا أَشَرْتُ إِلَيْهِ، وَيَهْتَمَّ بِمَا نَبَّهْتُ عَلَيْهِ. وَأَصْوَبُ طَرِيقٍ لَه في ذٰلِكَ، وَأَرْشَدُ ما يَسْلُكُهُ مِنَ الْمَسالِكِ، التَّأَدُّبُ بِمَا صَحَّ عَنْ نَبِيِّنَا سَيِّدِ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ، وَأَكْرَمِ السَّابِقِينَ وَاللَّاحِقِين، .....

الدنية، (ويهتم) أي: يعتني بهمته، (بما نبهت عليه) من الذهاب مذهب الأخيار، وسلوك مسلك أولي النهى، والأبصار، (وأصوب طريق له في ذلك) أي: في تحصيل ذلك، وفيه رمز إلى أن طرق المشايخ وإن كان فيها بعض محدثات، كالخلوات وبعض الأعمال هي صواب أيضاً، لما فيها من رياضة النفوس، ومجاهدتها حتى تدخل زمام العبودية، وللوسائل حكم المقاصد. (وأرشد ما يسلكه من المسالك) جمع مسلك مكان السلوك (التأدب بما صح عن نبينا) ﷺ لو قال بما جاء لكان أعم، لأن الحديث الحسن، كالصحيح في الأحكام وغيرها، والضعيف، يتأدب به في فضائل الأعمال، ويؤخذ به في الترغيب، والترهيب، ويمكن أن يقال ما ذكر من الضعيف وإن عمل به فيما ذكر إلا أن العمل بما صح أصوب وأرشد، وتظهر ثمرة ذلك، عند تعارض صحيح، وضعيف، فالتعبد بالصحيح هو الأصوب، والأرشد، والضعيف فيما يعمل به، فيه من الصواب، والرشاد، والحسن داخل فيما صح، بأن يراد به ما يقابل الضعيف. والأدب قال الحافظ السيوطي في التوشيح: هو استعمال ما يحمد قولاً وفعلاً، وقيل: الأخذ بمكارم الأخلاق، وقيل: الوقوف مع المستحسنات، وقيل: تعظيم من فوقك، والرفق بمن دونك. يقال إنه مأخوذ من المأدبة، وهي الدعوة إلى الطعام. سمي به؛ لأنه يدعى إليه ا هـ. والحديث الصحيح بالمعنى، الشامل للحسن، ما اتصل سنده، بنقل العدل، الضابط له، عن مثله، وسلم من العلة، والشذوذ، أو بنقل المغفل، أو كثير الخطأ، وجاء من طرق أخرى (سيد الأولين) حتى جميع الأنبياء، والمرسلين (و) سيد (الآخرين وأكرم السابقين) من الخلق (واللاحقين) منهم، أي: أجمعهم لأنواع الخير، والشرف، والفضائل، فهو سيد الخلائق، وأكرمهم كلهم؛ بشهادة قوله ﷺ: «أنا سيد الناس يوم القيامة» رواه البخاري وقوله ﷺ: «أنا سيد العالمين» رواه البيهقي، والعالمون وإن اختص بالعقلاء على الأصح، فهم أفضل سائر الأنواع من المخلوقات، فإذا فضل هذا النوع، فقد فضل سائر الأنواع بالضرورة، وقوله: «أنا سيد ولد آدم ولا فخر، وبيدي لواء الحمد ولا فخر، وما من نبي آدم فمن دونه إلا تحت لوائي» رواه الترمذي. ومن آخر هذا، وصدر الأولين علمت أفضليته على آدم. فقوله: «أنا سيد ولد آدم»، إما للتأدب مع آدم، أو لأنه علم، فضل بعض بنيه عليه كإبراهيم عليه السلام. فإذا

صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُه علَيه وعَلَى سَائِرِ النَّبِيِّين. وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعالَى[١]: ﴿وَتَعَاوَنُوا على الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾، وَصَحَّ عَنْ رَسُولِ الله ﷺ أَنَّهُ قالَ: «وَاللَّهُ في عَوْنِ

فضل نبينا الأفضل[٢] من آدم، فقد فضل آدم بالأولى، ولا ينافي التفضيل بين الأنبياء قوله تعالى: ﴿لا نفرق بين أحد من رسله﴾[٣] ولا ما في الأحاديث الصحيحة من قوله ﷺ: «لا تفضلوني». وفي رواية: «لا تخيروني على الأنبياء». وفي أخرى: «لا تخيروا بين الأنبياء»، ولا تفضيل[٤] نبينا عليهم، قوله ﷺ في الحديث المتفق عليه: «من قال أنا خير من يونس بن متى، فقد كذب» وذلك؛ لأن عدم التفرقة بينهم إنما هي في الإيمان بهم، وبما جاءوا به. وأما النهي فإما عن تفضيل في ذات النبوة، أو الرسالة؛ لأنهم فيها سواء، أو عن تفضيل يؤدي إلى تنقيص بعضهم، أو إلى خصومة، أو على التواضع منه، أو قبل علمه بتفضيله عليهم، وإن استبعد بأن راويه أبو هريرة، وما أسلم إلا سنة سبع، فيبعد أنه لم يعلمه، إلا بعد هذا. وأجاب جمع كمالك وإمام الحرمين، عن خبر يونس بما حاصله: أن تفضيل نبينا بالأمور الحسية، كالشفاعة الكبرى، وكونه تحت لوائه سائر الأنبياء، والإسراء به إلى فوق سبع سموات، مع النزول بيونس إلى قعر البحر معلوم بالضرورة. فلم يبق إلا النهي بالنسبة إلى القرب من الله تعالى؛ لتوهم التفاوت فيه، بين من هو فوق السموات، ومن في قعر البحر، فبين ﷺ، أنهما حينئذ بالنسبة إلى القرب من الله تعالى، على حد سواء، لتعاليه تعالى عن الجهة، والمكان علواً كبيراً. ففيه أبلغ رد على الجهوية والمجسمة[٥]. واعلم أن في حديث: «أنا سيد العالمين» أبلغ رد على المعتزلة، وإن وافقهم الباقلاني، والحليمي في تفضيلهم الملائكة على الأنبياء، واستدلوا بما هو مردود. ومعنى تفضيل البشر عليهم؛ أن خواصهم وهم الأنبياء، أفضل من خواص الملائكة، وهم جبريل، وإسرافيل، وميكائيل وعزرائيل، وحملة العرش، والمقربون، والكروبيون، والروحانيون، وخواصهم أفضل من عوام البشر إجماعاً، بل ضرورة. وعوام البشر، وهم الصلحاء دون الفسقة، كما قال البيهقي وغيره: أفضل من عوامهم، وقوله: (صلوات الله وسلامه عليه

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٢.

(٢) الأفضل مفعول فضل والمراد به إبراهيم عليه السلام. ع.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٨٥.

(٤) أي ولا ينافي تفضيل الخ. ع.

(٥) الجهوية القائلون بأن لله جهة والمجسمة القائلون بأن الله جسم. ع.

الْعَبدِ ما كَانَ الْعَبْدُ فى عَوْنِ أَخِيهِ» وأَنَّه قَالَ: «مَنْ دَلَّ عَلَى خَيْرٍ فَلَهُ مثلُ أجرِ فَاعِلِه» وأَنَّه قال: . . . . . .

وعلى سائر النبيين) فيه الصلاة على سائر الأنبياء ﷺ: «صلوا على أنبياء الله ورسله فإنهم بعثوا كما بعثت» رواه الطبراني وقد قال تعالى: ﴿وتعاونوا على البر﴾[1] اتباع الأمر **(والتقوى)** اجتناب النهي. قاله الكواشي **(وصح عن رسول الله ﷺ أنه قال)** أي: من جملة حديث رواه مسلم، عن أبي هريرة مرفوعاً، وأخرجه الترمذي والنسائي، وابن ماجه، وابن حبان في صحيحه وغيرهم. وما اعترض به على الحديث بأن في سنده، من هو مردود غير مقبول. **(والله في عون العبد ما كان)** العبد أي: مدة كونه **(في عون أخيه)** بقلبه، أو بدنه، أو ماله، أو غيرها. قيل: وهذا إجمال لا تسع بيانه الطروس، فإنه مطلق في سائر الأحوال، والأزمان، وفيه أن العبد إذا عزم على معاونة أخيه، فينبغي ألا يجبن عن إنفاذ قوله، وصدعه بالحق، إيماناً بأن الله في عونه، وأن يأمل الإعانة بدوام هذه الإعانة، فإنه ﷺ لم يقيدها بحالة خاصة، بل أخبر بأنها دائمة بدوام كون العبد في عون أخيه **(و)** صح أيضاً **(أنه)** ﷺ **(قال: من دل على خير فله مثل أجر فاعله)** شك بعض رواته فقال: أو قال عامله، رواه مسلم، وأبو داود من حديث أبي مسعود البدري. وابن حبان في صحيحه من حديث ابن مسعود. ورواه البزار من حديث أنس مختصراً بلفظ: «الدال على الخير كفاعله والله يحب إغاثة اللهفان». ذكره المنذري في الترغيب والترهيب **(و)** صح أيضاً **(أنه)** ﷺ قال: «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً» رواه أحمد، ومسلم، وأصحاب السنن الأربعة، كما في الجامع الصغير للسيوطي. وفي مصباح الزجاجة له أيضاً قال البيضاوي: أفعال العباد وإن كانت غير موجبة، ولا مقتضية للثواب، والعقاب، بذواتها، إلا أن الله تعالى أجرى عادته الإلهية بربط الثواب، والعقاب بها، ارتباط المسببات بالأسباب وليس للعبد تأثير في صدور الفعل عنه بوجه. فكما يترتبان على ما يباشره، ويزاوله يترتب كل منهما أيضاً على ما هو سبب في فعله، كالإرشاد إليه، والحث عليه. ولما كانت الجهة التي بها استوجب المتسبب الأجر، والجزاء، غير الجهة التي استوجب بها المباشر، لم ينقص أجره من أجره شيئاً. وقال الطيبي: الهدى في الحديث ما يهتدى به من الأعمال، وهو بحسب التنكير مطلق شائع في جنس ما يقال له هدى، يطلق على القليل، والكثير، فأعظمه هدى من دعا إلى الله، وأدناه هدى من دعا إلى إماطة الأذى عن طريق المسلمين.

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٢.

«مَنْ دَعَا إِلَىٰ هُدًى كَانَ لَهُ مِن الأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ لاَ ينقصُ ذلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئاً» وأَنَّهُ قَالَ لِعَلِيٍ رَضِيَ اللَّهِ عَنْهُ: «فَوَاللَّهِ لأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلاً وَاحِداً خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَم».

فَرَأَيْتُ أَنْ أَجْمَعَ مُخْتَصَراً مِنَ الأحادِيث الصَّحيحَةِ مُشْتَمِلاً عَلَى مَا يَكُونُ

ومن ثم عظم شأن الفقيه الداعي، المنذر، حتى فضل واحد منهم على ألف عابد؛ لأن نفعه يعم الأشخاص والأعصار إلى يوم القيامة ا هـ. وسيأتي في هذا المعنى مزيد إن شاء الله تعالى (و) صح أيضاً (أنه) ﷺ (قال لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه) يوم خيبر: (فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم) رواه الشيخان. وحمر النعم بفتح النون والمهملة أي: الإبل الحمر، أنفس أموال العرب. وهذا الخطاب باعتبار ما استقر عندهم من نفاسة ذلك وكرمه. وإلا فلا مناسبة بينه، وبين الثواب المترتب على الهداية. وفي الحديث: «لموضع سوط أحدكم في الجنة خير من الدنيا وما فيها» (فرأيت) الفاء فصيحة أي: أنه ورد الأمر بالتعاون على البر، والتقوى، في الكتاب والسنة. فرأيت (أن أجمع مختصراً) بوزن اسم مفعول مفعول أجمع ويقال له: الموجز وهو ما قل لفظه، وكثر معناه. ويجوز أن يقرأ بصيغة اسم الفاعل، فيكون حالاً من فاعل أجمع، ويكون قوله (من الأحاديث الصحيحة) ظرفاً لغواً متعلقاً بأجمع. وعلى الأول فهو ظرف مستقر صفة مختصراً، أي: مختصراً كائناً من الأحاديث. والأحاديث قال في المفاتيح جمع أحدوثة وهو ما يحدث به، والحديث مثله. ويجوز أن يكون جمع حديث على غير قياس. وفي الكشاف: الأحاديث تكون اسم جمع للحديث، ومنه أحاديث رسول الله ﷺ ا هـ. وتعقبه أبو حيان في النهر بأن أفاعيل ليست من صيغ اسم الجمع، وإنما ذكرها أصحابنا فيما شذ من الجمع كقطيع، وأقاطيع، وإذا حكموا على عباديد[1] بأنه جمع تكسير لا اسم جمع، وهو لم يلفظ له بواحد، فأحاديث أحرى، فالصواب أنه جمع تكسير لما ذكرنا أي: من أحدوثة، وهو ما يتحدث به الناس على جهة الغرابة، والتعجيب ا هـ. والحديث المراد هنا ما يسمى بعلم الحديث رواية، وحده كما في شرح البخاري للكرماني: علم يعرف به أقوال رسول الله ﷺ، وأفعاله، وأحوال، قلت: وكذا تقريره، وما أضيف إليه من وصف، ككونه

---

(١) يقال صار القوم عبابيد وعباديد وذهبوا عبابيد وعباديد، أي متفرقين لا واحد له، ولا يقع إلا في جماعة، ولا يقال للواحد عبديد. ع.

طَرِيقاً لِصَاحِبه إِلَى الآخِرةِ، وَمُحَصِّلاً لآدَابِهِ الْبَاطِنَةِ وَالظَّاهِـرَة جامِعَـاً لِلتَّرْغِيبِ والتَّرْهِيبِ وَسَائِرِ أَنْوَاعِ آدَابِ السَّالِكِينَ: مِنْ أَحادِيثِ الزُّهْدِ، وَرِيَاضَاتِ النُّفُوسِ، وَتَهْذِيبِ الأَخْلاقِ، وَطَهَارَاتِ الْقُلُوبِ وَعِلاَجِهَا وَصِيَانَةِ الجوَارِح . . . . . .

ليس بالطويل، ولا بالقصير، وأيام كاستشهاد عمه حمزة رضي الله عنه بأحد، وكذا تعرف به أقوال وأفعال من دونه من صحابي، وتابعي، كما ذكره شيخ الإسلام زكريا وغيره، فكان عليه ذكره لأن الحديث يطلق على ذلك فهو غير جامع، وتعقب السيوطي هذا التعريف أيضاً، بأنه غير مانع، لشموله علم الاستنباط ا هـ. قال الكرماني: وموضوعه ذات النبي من حيث إنه نبي. قال الشيخ زكريا: هذا مبني على تعريفه المقتضي لحصر الحديث في المرفوع. أما على القول بأنه أعم منه ومن الموقوف، فينبغي أن يعمم الموضوع، ليشمل ذلك وغايته، الفوز بسعادة الدارين ومراده من الصحيحة المقبولة. فتشمل الحسن، ولو لغيره، والضعيف المقبول في مواطنه **(مشتملاً على ما)** أي: الذي **(يكون طريقاً)** أي: موصلاً **(لصاحبه)** أي: المختصر **(إلى)** تحصيل **(نعيم الآخرة)** إن لاحظته العناية، وذلك هو الهدى **(ومحصلاً لآدابه)** أي: الصاحب، والآداب جمع أدب. وسبق تعريفه قريباً، أي: محصلاً لما ينبغي له استعماله، مما يحمد قولاً، وفعلاً **(الباطنة)** من نحو الإخلاص، والصدق، وسائر الأخلاق الحميدة **(والظاهرة)** من نحو إقامة الشرائع، وترك المحرمات، والإتيان بالمندوبات **(جامعاً للترغيب)** في الأعمال الصالحة، بذكر ما جاء في فضلها، وثوابها، من كتاب أو سنة، ويعبر عنها بالتبشير **(والترهيب)** من الأعمال المحرمة، والأخلاق الرديئة، بذكر ما جاء فيها من وعيد، أو ذم، أو نحوه. ويعبر عنه بالنذارة **(وسائر أنواع آداب السالكين)** من قطع العلائق، وترك العوائق، والإقبال على الخالق **(من أحاديث الزهد)** أي: الواردة بطلبه، وبيان فضله **(ورياضات النفوس)** أي: ما ترتاض، وتنخلع بمزاولته عن طبعها الذميم، ووصفها القبيح، من المجاهدات، وقطع المألوفات، والمعتادات من الحظوظ والشهوات، فإن النفس قبل رياضتها بمثابة الدابة الحرون، لا تزداد بالعلف إلا إباء وامتناعاً عن مراد سيدها، وبعد تأديبها وتهذيبها لا تزداد بذلك إلا انقياداً للمراد، ووفاقاً له على سلوك طريق السداد **(وتهذيب الأخلاق)** أي: تنقيتها واختيار جيدها من رديئها. والأخلاق جمع خلق بضم الخاء المعجمة، واللام. وبإسكانها أيضاً اسم للمعاني المدركة بالبصيرة. وعرف: بأنه ملكة تصدر عنها الأفعال بسهولة، فإن كانت حسنة فخلق حسن، وإلا فسيء **(وطهارات القلوب)** من أدناسها، كالعجب، والكبر ونحوهما من الأخلاق المذمومة **(وعلاجها)** من أمراضها من نحو الغفلة، وغلبة الاهتمام بشأن الدنيا **(وصيانة الجوارح)** أي: صونها عما لا يجوز لها

وَإِزَالَةِ اعْوِجَاجِهَا وَغَيْرِ ذٰلِكَ مِنْ مَقَاصِدِ الْعَارِفِينَ.

وَأَلْتَزِمَ أَنْ لَا أَذْكُرَ فِيهِ إِلَّا حَدِيثاً صَحِيحاً مِنَ الْوَاضِحَاتِ، مُضَافاً إِلَى الْكُتُبِ الصَّحِيحَةِ الْمَشْهُورَاتِ، وَأُصَدِّرَ الْأَبْوَابَ مِنَ الْقُرْآنِ الْعَزِيزِ بِآيَاتٍ كَرِيمَاتٍ، وَأُوَشِّحَ ما يَحْتَاجُ إِلَى ضَبْطٍ أَوْ شَرْحِ مَعْنًى خَفِيٍ بِنَفَائِسَ مِنَ التَّنْبِيهَاتِ. وَإِذَا

مزاولته، ومحاولته من الأعمال (**وإزالة اعوجاجها**) وذلك لأن القلب إذا صلح، صلح سائر الجسد. وصلاح الظاهر عنوان صلاح الباطن، فمن تحلى ظاهره بحلى الشريعة، وتطهر باطنه بمياه الطريقة، فقد فاز بالحقيقة (**وغير ذلك من مقاصد العارفين**) كالإقبال على الخالق وقطع العلائق، وترك العوائق، والاشتغال به في كل حال، وطلب مرضاته في سائر الأحوال. فمن وجد مولاه لم يفقد شيئاً (**والتزم فيه**) أي في هذا المختصر (**ألا أذكر إلا حديثاً صحيحاً**) أي: مقبولاً. فشمل الحسن، ولو لغيره كما تقدم (**من**) الأحاديث (**الواضحات**) المعنى أي: في الجملة، ووضوحها لأن المصنف قصد عموم النفع، بكتابه حتى للعوام (**مضافاً إلى الكتب الصحيحة المشهورات**) وهي الصحيحان، وأكثر ما هنا منهما، والسنن لأبي داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، وكذا مستدرك الحاكم (**وأصدر الأبواب**) أي: أجعل صدرها وبدأها (**من القرآن العزيز**) هو كلام الله تعالى المنزل على نبيّه محمد ﷺ، بقصد الإعجاز بقدر أقصر سورة منه، المتعبد بتلاوته، ومن عزته العجز عن الإتيان بقدر أقصر سورة منه (**بآيات كريمات**) أي: يجيء بها مناسبة للباب؛ لتكون كالدليل، وتعود بركتها على باقي مسائل الباب. والآيات، جمع آية، بالمد لغة: بمعنى العلامة، واصطلاحاً: طائفة من كلمات القرآن المتميزة بفصل أي: هو آخر الآية الذي يقال فيه: الفاصلة، وفي أصل آية ستة أقوال[1] قيل: إنه بفتحات، وقيل بوزن كلمة تحركت الياء فيهما، وانفتح ما قبلها فقلبت ألفاً، وقيل غير ذلك، وقد بسط ذلك ابن الصائغ في شرح البردة. وكريمات أي: نفيسات ومنه كرائم الأموال (**وأوشح ما يحتاج**) من الكلمات (**إلى ضبط**) لحروفه، نحو بالفوقية أو بالتحتية، وبيان ما قد يشتبه من الحركات (**أو شرح معنى**) للفظ (**خفي**) لغموض دلالة اللفظ عليه، بأن يكون ذلك اللفظ مصروفاً عن ظاهره لمقتض، أو بأن يكون فيه غموض بحيث يعسر فهم معناه من مبناه إلا للعارف، أو نحو ذلك (**بنفائس**) جمع نفيسة: وهو ما يرغب فيه من علم، أو مال، أو نحو ذلك. والظرف متعلق بأوشح، وقوله (**من التنبيهات**) جمع تنبيه. وهو لغة: الإيقاظ. واصطلاحاً: إعلام بما يؤخذ مما قبله

---

(١) وقد مر ما في شرح القاموس.

قُلْتُ في آخِرِ حَدِيثٍ: مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ، فَمَعْنَاهُ رواهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِم.

وَأَرْجُو إِنْ تَمَّ هذَا الكِتَابُ أَنْ يَكُونَ سَائِقاً لِلْمُعْتَنِي بِهِ إِلَى الْخَيْرَاتِ، حَاجِزاً لَهُ عَنْ أَنْوَاعِ الْقَبَائِحِ وَالْمُهْلِكاتِ، وَأَنا سَائِلٌ أَخاً انْتَفَعَ بِشَيْءٍ مِنْه أَنْ يَدْعُوَ لِي وَلِوَالِدَيَّ، وَمَشَايِخِي؛ .....

إجمالاً، وهو في محل الصفة لنفائس، وفي العبارة تشبيه ما يعقب به متن الحديث، من ضبط مبنى، أو بيان معنى بالوشاح، وهو كما في النهاية: شيء ينسج عريضاً من أديم، وربما رصع بالجواهر، والخرز تشد به المرأة بين عاتقها وكشحها ا هـ. ففي العبارة استعارة تبعية مصرحة، وذكر النفائس ترشيح. وقوله من التنبيهات تجريد **(وإذا قلت في آخر حديث)** أي: عقبه **(متفق عليه فمعناه رواه البخاري ومسلم)** لا اتفاق[1] الأئمة، قال ابن الصلاح: لكن يلزم من اتفاقهما اتفاق الأئمة عليه، لأن الأمة اتفقت على تلقيهم لما روياه بالقبول **(وأرجو)** من الرجاء ضد اليأس، فهو تجويز، وقوع محبوب على قرب، واستعماله في غيره كما في: ﴿ما لكم لا ترجون لله وقاراً﴾[2] أي: لا تخافون عظمته مجاز يحتاج إلى قرينة **(إن)** عبر بها مع أن المناسب للرجاء إذا، إشارة إلى أنه مع رجائه ملاحظ لمقام الخوف المقتضي للتردد في التمام اللازم للمرجو **(تم هذا الكتاب)** الحاضر ذهناً وإن تقدم على وضع الخطبة، كما ذكره المحققون، وتقدمها يدل عليه صنيعه في مواضع وقد تم ولله الحمد **(أن يكون سائقاً)** اسم فاعل من السوق **(للمعتني)** أي: لصاحب العناية **(به إلى الخيرات)** وهي فعل العبادات، والتقرب إليه سبحانه بأنواع الطاعات **(حاجزاً له)** أي: مانعاً للمعتني به **(عن أنواع القبائح)** والرذائل، كالسرقة، وإخلال المروءة **(والمهلكات)** أي: الموقعة لصاحبها في الهلاك، والعذاب، كالعجب، والكبر والرياء، ونحو ذلك، لما اشتمل عليه هذا الكتاب من الترغيب، والترهيب، ومن أحاديث طهارات القلوب، وعلاجها **(وأنا سائل أخاً انتفع بشيء منه أن يدعو لي ولوالدي)** سأل المصنف من الإخوان وهم المؤمنون، الدعاء له، ولمن ذكر معه؛ ليفوزوا بالقيام بسنة الدعاء للأخ بظهر الغيب، وليحصل لهم من الفضل، مثل ما دعوا به كما ورد في حديث أبي الدرداء المرفوع، وفي قوله سائل ما لا يخفى من مزيد التواضع، والتنزل، وفي حذف المدعو به تعميم. وأهم ما يدعى به، غفران الذنوب، ورضاء علام الغيوب **(ومشايخي)** جمع واحده شيخ. والمراد بالشيوخ هنا،

---

(١) أي وليس معناه اتفاق الأئمة ع.

(٢) سورة نوح، الآية: ١٣.

وَسَائِرِ أَحْبابِنَا، وَالْمُسْلِمينَ أَجْمَعِينَ .وَعَلَى اللَّهِ الْكَرِيم اعتِمَادِي، وَإِلَيْهِ تَفْوِيضِي وَاسْتِنَادِي، وَحَسْبِيَ اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ، ولَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ .

من أخذ عنهم المصنف، وإن لم يبلغوا سن الشيوخة، ويجمع شيخ على شيوخ وأشياخ، وشيخان. وشيخه بكسر الشين المعجمة، وفتح التحتية، وسكونها. ومشيخة، بوزن مسبعة، وقد نظم ابن مالك بعض هذه الجموع وزاد غيرها فقال:

شيخ شيوخ ومشيوخاء مشيخة شيخان أشياخ أيضاً شيخة شيخه

وزاد في القاموس: شيوخ ومشيخة بكسر الشين فيها، ومشيخاء، وفي النوادر للحياني هؤلاء مشيخة بفتح الياء وضمها، وبه يصير له اثنا عشر جمعاً. واختلف في أشايخ فقيل: جمع شيخ. وقيل: جمع أشياخ، كأنابيب، جمع أنباب. وقد بسطت الكلام في هذا المقام في حاشيتي على شرح الشيخ خالد الأزهري على الأجرومية **(وسائر أحبابنا)** أي: باقيهم. والأحباب، بتكرير الموحدة جمع حبيب، كشريف، وأشراف، وضبطه نفيس الدين سليمان بن إبراهيم العلوي بالقلم، بتشديد الموحدة بعدها مدة، ثم همزة مكسورة. أي: من أحبنا ومن أحببناه في الله تعالى بناء على جواز إطلاق المشترك على معنييه معاً **(وسائر المسلمين)** تعميم لأن الدعاء، كلما كان أعم، كان أتم وقوله: **(أجمعين)** تأكيد للإحاطة والشمول **(وعلى الله الكريم)** أي: لا على غيره، كما يؤذن به تقديم ما حقه التأخير **(اعتمادي)** هذا وقد جعل الرضى الاستعلاء في نحو هذا من الاستعلاء المجازي، واللائق بالأدب، عدم التعبير بالاستعلاء مطلقاً، وأن يقال معنى على في ذلك ونحوه: لزوم التفويض إلى الله سبحانه، فمعنى عليه اعتمادي، لزمت تفويض أمري إلى الله تعالى واللفظ قد يخرج بشهرته في الاستعمال في الشيء عن مراعاة أصل المعنى، ذكره بعض المحققين **(وإليه)** لا إلى غيره **(تفويضي واستنادي)** في النهاية يقال: فوض إليه الأمر، إذا رده إليه، وجعله الحاكم فيه ا هـ. **(وحسبي الله)** أي: محسبي، وكافيّ خبر قدم على مبتدئه، وهو الاسم الكريم لإفادة ما ذكر وللاهتمام. وقوله: **(ونعم الوكيل)** معطوف إما على حسبي الخبر من باب عطف الجملة على المفرد، والمخصوص على هذا بالمدح هو الاسم الكريم، أو على جملة حسبي الله من غير تقدير شيء في الجملة المعطوفة بناء على كون تلك إنشائية معنى. إذ هي لإنشاء التوكل فيكون من عطف إنشائية على مثلها، أو مع تقدير مبتدأ هو حذف اختصاراً. ولا حاجة على هذا لتقدير «مقول» في جانب الخبر لأن الأصح كما قال ابن مالك، جواز وقوع الجملة الطلبية خبراً من غير إضمار قول. وتقدير المبتدأ في الجملة

. . . . . .

المعطوفة، بناء على بقاء جملة حسبي الله على وضعها. وهي الخبرية لفظاً ومعنى، فيكون من عطف خبرية على مثلها، والمخصوص على هذا محذوف كما علم مما ذكر (**ولا حول**) بفتح اللام ويجوز الرفع على إهمال لا لتكررها (**ولا قوة**) بهما، أو بالنصب عطفاً على محل حول إذا عملت لا فيه. والمعنى كما جاء في حديث ابن مسعود مرفوعاً: «لا حول عن معصية الله ولا قوة على طاعة الله إلا بعون الله» أخرجه البزار (**إلا بالله العزيز الحكيم**) هذا هو الوارد في ختم هذه الكلمة في الصحيح دون ما اشتهر من ختمها بالعلي العظيم، وإن جاء في رواية كما يؤذن به بعض نسخ الحصن الحصين. والعزيز الذي لا يغالب في مراده والحكيم من يضع الأشياء في مواضعها على ما سبق في علمه.

□□□